

أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير

د. رفعت كمال

الإشراف الفني والغلاف :

خالد فرحات



بقلم :

الدكتور : عادل صادق

(العدد ١٣٨) طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	٢٥	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل . س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ع . اليمنية	٣٥	ريال
الصومال نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الامارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	فلورن
الهند	٣٥٠	روبية
كندا امريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنت
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ٢٤ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ١٥ دولارا
اتحاد البريد الافريقى ٢٠ دولارا امريكيا او ما يعادله
باقى دول العالم واوربا والامريكتين ٢٥ دولارا
امريكا الجنوبية واليابان واستراليا ٣٥ دولارا امريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة الى الاشتراكات ٣ (١) ش الصحافة القاهرة ت ٥٧٤٨١٠٠ (٥ خطوط)

● تلكس : ٢٢٨٢ محلى ٢٠٣٢١ دولى

كلمة التحرير

هذا هو الجزء الثانى من كتاب « روعة الزواج » للاستاذ الدكتور عادل صادق استاذ الطب النفسى بكلية الطب جامعة عين شمس . وبإيجاز ليس مخلا على الاطلاق .. فإننا أصدرنا - عزيزى القارىء - الجزء الأول وهو : دعوة للزواج ، والجزء الثانى - الذى بين يديك - وهو بعنوان : دعوة ضد الطلاق . فى الجزء الأول هو يرى ان الزواج حب والحب زواج ، وفى الجزء الثانى يرى ان الزواج يجب أن يكون خالدا .

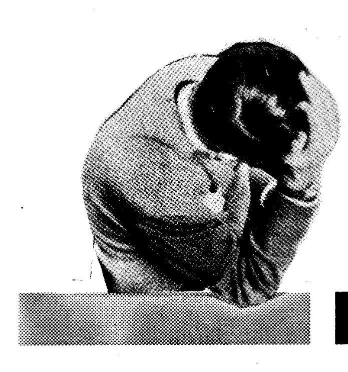
..إن كتاب روعة الزواج بجزئيه - الأول والثانى - هو اضافة هامة للمكتبة العربية ويجىء فى مرحلة خطيرة فى حياة الانسان العربى الذى تاثر سلبيا بقشور ثقافات غريبة عليه أدت الى انهيار الكثير من القيم السامية والى تدمير المعنى العظيم للزواج واهميته فى حياة الانسان .

.. إن مؤلفات الاستاذ الدكتور عادل صادق تصل بهذا الكتاب الى عشرين كتابا تحتل مكان القلب فى المكتبة العربية فى مجال الدراسات النفسية والانسانية حيث يحرص على أن تكون بلغة علمية سهلة تصل الى العقل والى القلب معا وتترك أثارا تنعكس على السلوك فى الاتجاه النبيل السامى انطلاقا من قاعدة أساسية فى فكر الاستاذ الدكتور عادل صادق وهى : أن جوهر الحياة هو العلاقات الانسانية ، وان جوهر العلاقات الانسانية هو الحب الذى يجمع بين قلبى رجل وامراة . ولهذا جاء الكتاب رقم « ٢٠ » ليتحدث عن روعة العلاقة بين رجل وامراة جمع بينهما الحب اى الزواج فى علاقة أبدية .

المحــــرر

الغلاف بريشة الفنان :

سيد عبدالفتاح



المقدمة

.. هذا الكتاب دعوة ضد الطلاق .. ونقطة الانطلاق كانت التعمق فى فهم كلمة « البغضاء » ..

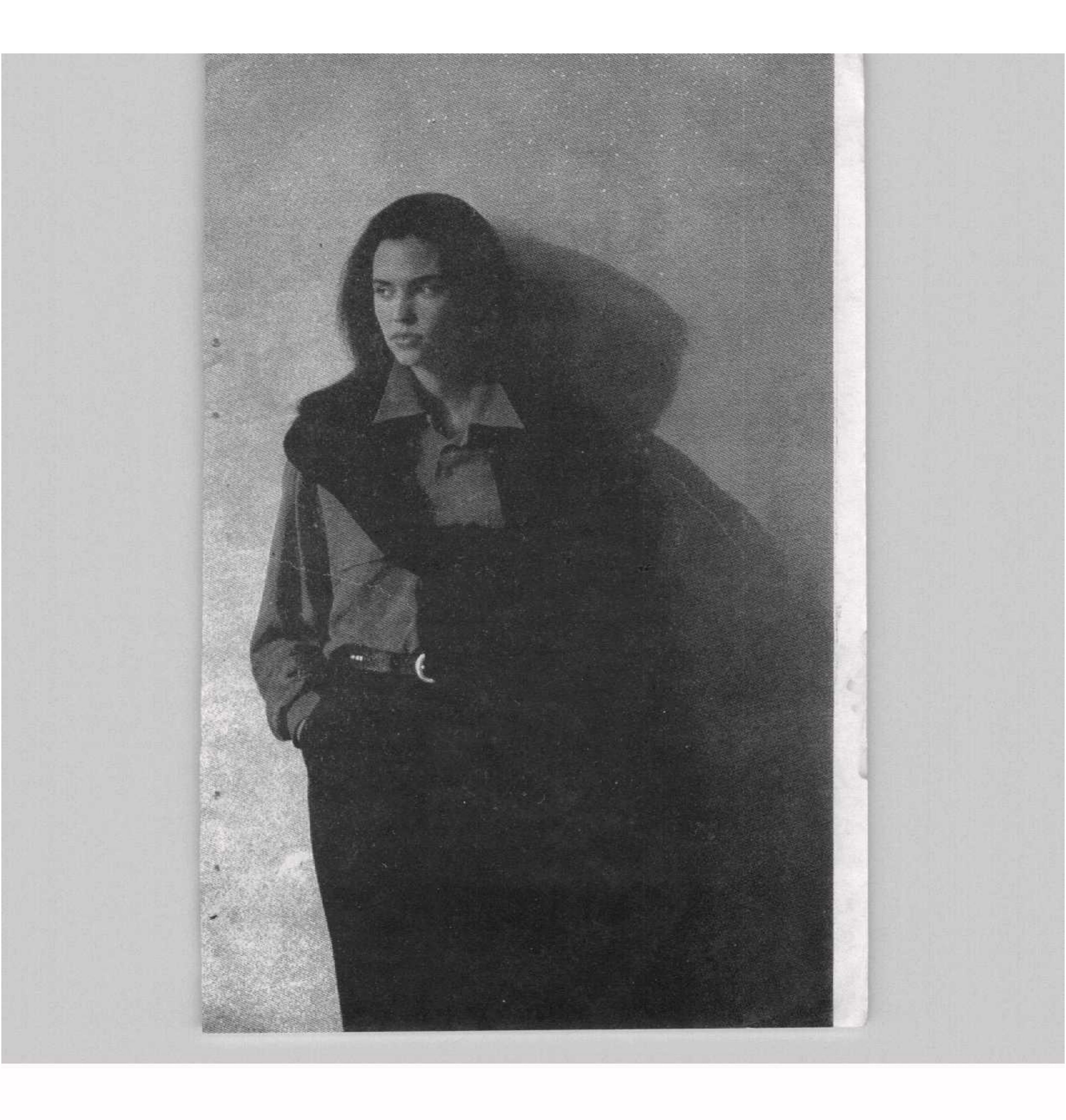
.. وكان النص الكريم صريحا « ان أبغض الحلال عند الله الطلاق » .

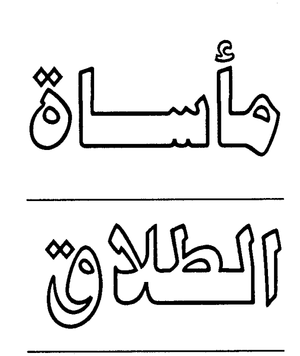
.. وبغضاء الله مبعثها بدون شك معرفة الخالق عز وجل بطباع البشر وأحوالهم وما قد يحدثه الطلاق من تأثير سيىء فى حياتهم .

.. وهو معنى بليغ أراد الله ان يوضحه بهذه الكلمة الصعبة « البغضاء » حتى يحذر الناس بشدة وليس برفق من هذا الأمر الفظيع .. الطلاق .

د . عادل صادق

أغسطس ١٩٩٣




مأساة
الطلاق

● ● أبغض الحلال

أحل الله الطلاق ولكنه أبغضه فى الوقت نفسه . وحين يبغض الله شيئا ما فهذا معناه انه شىء سيىء مقيت وكريه .. والله عز وجل يبغض ويمقت ويكره كل ما يسىء الى علاقة انسانية ، كل ما يهدر رابطة بين انسان وإنسان ، كل ما يقطع صلة قرابة أو رحم يقوم على أساسها الكون وتستمر الحياة ، كل ما يجرح قدسية الصحبة الطيبة بين رجل وإمرأة ، كل مايقطع التلاحم الشريف بين الذكر والأنثى ، كل ما يهدر قانون السماء الذى يجمع ويؤلف بين القلوب والأرواح ، يتضح هذا المعنى فى قوله الحكيم فى كتابه الكريم « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » .. صدق الله العظيم ..

أما الطلاق فهو .. نهاية علاقة بين رجل وامرأة جمع الله بينهما فى لحظة ما . موت صلة بين ذكر وأنثى أراد الله لهما فى وقت ما أن يلتحما ويذوبا مودة ورحمة .. تفكك رابطة مقدسة جمعت فى وقت ما ـ بإرادة الله ـ بين قلبين وروحين وعقلين وجسدين .

هذا هو الطلاق .. إنه قتل لصميم الحياة . تحطيم أساس تقوم عليه الحياة . إهدار للناموس الطبيعى الذى ينظم الحياة .

هذا هو الطلاق .. إنه فناء للمعنى الخالد . للقيمة الكبرى . للنموذج الأكمل . للصرح الحقيقى .. للطهارة والشرف والكرامة والاخلاص والوفاء .

هذا هو الطلاق .. إنه الأعلان الصريح عن فشل رجل . وفشل امرأة . وهما معا فاشلان وليس أحدهما فقط . لا يوجد فى الطلاق معتد وضحية . جان ومجنى عليه .. بل هما معا معتديان وضحيتان . جانيان ومجنى عليهما .. ولكن بكل تأكيد هو رجل فاشل وهى امرأة فاشلة . لأنهما فشلا فى تكريس المعنى الحقيقى

للحياة . فشلا فى تأكيد القيمة الجمالية الحقيقية للانسان كنبع للمودة والرحمة .

.. الزواج نعمة وسكن ورحمة .

.. والطلاق نقمة وقطيعة وعذاب .

.. فى لحظة الزواج تحوم حول البقعة الطاهرة التى يتم فيها زواج رجل بإمرأة كل ملائكة الحب والرحمة فتشع المودة ويعم السرور وتتأصل معانى الجمال والشرف والاخلاص والوفاء .

.. فى لحظة الطلاق تحوم حول البقعة التعسة التى يتم فيها طلاق رجل وإمرأة كل شياطين الكراهية والبغض والمقت والاكتئاب والقبح والقسوة والعنف والخيانة .

● ● ●

.. اللحظات التى يتم فيها فعليا إجراءات الطلاق هى لحظات حزينة حقا . لا يعرف مرارتها الا الذين مروا بهذه التجربة التعسة الشقية .. حتى الذى سعى للطلاق سعيا حثيثا وتمناه هروبا من معاناة فإنه فى هذه اللحظة يحزن حزنا كبيرا .

إنها لحظة يشعر فيها الانسان بالفشل الحقيقى . بأنه أفشل انسان على وجه الأرض . فشل فيما نجح فيه أبسط إنسان .

فى هذه اللحظة لا ينفع الانسان حصوله على علم أو ثقافة او مال أو جاه أو سلطان . الجاهل فى هذه اللحظة قد يكون أسعد من المتعلم ، والأمى أسعد من المثقف ، والفقير اسعد من الغنى والضعيف اسعد من صاحب الجاه والسلطان .

.. إنها لحظة انهيار . إنهيار قيم ومعنى وضياع هدف .

.. إنها لحظة تتألم فيها القلوب وتتعذب الأرواح وتشقى العقول .

.. القلوب ترتج بشدة فى هذه اللحظات . إنها حقا لحظات قلوب .

القلوب المريضة تقود أصحابها الى هذه اللحظة . والقلوب السليمة تبعد أصحابها عن هذه اللحظة حتى نهاية العمر .

.. القلوب المريضة هى القلوب المتحجرة .. إنها كالحجارة او اشد قسوة . هى القلوب المليئة بالكراهية والحقد والبغضاء والغرور والنرجسية والانانية .

.. والقلوب السليمة هى القلوب الأمنة المطمئنة العاشقة المليئة بالمودة والرحمة وحب الخير والتواضع والكرم والايثار . وغيرها من المعانى النبيلة التى تجمل الحياة وتجعلها جديرة بأن تعاش .

.. اذن لا أحد سعيد فى لحظة الطلاق .. سواء الذى سعى اليه أو الذى طلق ضد إرادته ..

.. يكفى فى الطلاق ان يكون طرفا راغبا فى الطلاق حتى يتم الطلاق . اما الزواج فإنه يحتاج الى إرادة الاثنين معا . رغبة مشتركة . اتجاه واحد . البناء يحتاج الى اثنين .. يدين .. أما الطلاق فيحتاج الى واحد . يد تكفى .

.. ولحظة الطلاق هى نهاية لطريق . المحطة الأخيرة التى سبقتها لحظات وساعات وأيام وشهور وسنين طويلة أو قصيرة .. ونادرا ما يتم الطلاق فجأة وبدون مقدمات . فى حقيقة الأمر فإن الطلاق يتم على مراحل . ولحظة الطلاق يسبقها شهور وربما سنوات من التفكير لفصم هذه العلاقة التى جمعها الله . ثم يتخذ القرار . ثم تأتى اللحظة التعيسة . الطلاق يتم على مراحل .

● ● ●

متى يحدث الطلاق ؟

.. الطلاق لا يحدث فجأة . لا يتم بدون توقع . إنه يبدأ كإحساس . شعور . حالة وجدانية . ربما سنوات قبل اللحظة الفعلية التى يتم فيها الطلاق .

نقطة البداية هى توقف المشاعر . تجمد العواطف . تصلب الوجدان . ربما حتى لا مشاعر سلبية . أحدهما يتوقف عن الاحساس بالآخر . أو قد يتوقف إحساسهما معا فى وقت واحد .

قد يحدث هذا فى اليوم الأول للزواج . وقد يحدث بعد شهر . بعد سنة . بعد عدة سنوات . هذه هى البداية الحقيقية . ولكن هذه البداية يسبقها اشياء اخرى . مشاحنات . عدم إرتياح . صراع . والصراع قد يأخذ باستمرار شكلا حادا ومستمرا . قد يكون صراعا مجهدا واحيانا مريرا . قد تكون المشاحنات مضنية . قد تكون هناك هوة ما تفصل بين الزوجين . قد تكون هناك اختلافات جوهرية بينهما وخلافات أساسية تتناول أشياء جوهرية ..

ولكن رغم كل هذا تكون فكرة الطلاق بعيدة كل البعد عن الذهن والخاطر والوجدان . بل يكون هناك إحساس عجيب وهو أنه بالرغم من الصراع والمشاحنات والهوة والاختلافات والخلافات .. فإنه يكون هناك فى نفس الوقت إحساس راسخ بالاستمرارية والثبات والطمأنينة . كل شىء مضطرب ولكن الحياة مستمرة وستستمر . والألم يكون سطحيا والمعاناة خارجية ، والشكوى باللسان .

.. فقط عندما يجف الاحساس يحوم شيطان الطلاق فوق الرؤوس مثلما يحلق ملك الموت فوق رأس مريض على وشك الموت استعدادا لقبض روحه . الموت والطلاق شىء واحد .

.. جفاف الاحساس معناه بداية التباعد الحقيقى . حتى تصبح المسافة التى تفصلهما آلاف الأميال ، والهوة التى بينهما عميقة القرار . فلا يرى احدهما الآخر ، ولا يسمع أحدهما الآخر . وعلى المستوى النفسى فإن كل واحد منهما قد قام بإلغاء الآخر . أى ان كلا منهما قد تحول بالنسبة للآخر الى صفر ..

.. هذه هى البداية . توقف الاحساس . وهنا تتجمع القطرة

السامة الأولى . وإذا أردنا الحقيقة .. فإن الطلاق المعنوى يكون قد تم فعلا فى هذا الوقت .. فاذا كان الزواج هو قمة الاحساس بالآخر .. فإن الطلاق يكون بذلك هو توقف الاحساس بالآخر .

توقف الاحساس هو انهيار كامل للمعنى الحقيقى للزواج . فأنت تتزوج لأنك تريد ان تعيش مع إنسان . وهذا الانسان بالذات . أنت تتزوج لتكونا معا . أنت تتزوج ليشعر بك الآخر ويهتم بك .. وأنت تتزوج أيضا ليتاح لك أن تشعر بالآخر وتهتم به . الزواج يقوم على الأحساس الكامل المتبادل . فإذا توقف الاحساس من أحدهما أو من كليهما ..

فهذا هو اللازواج .

● ● ●

.. ولكى يصل الانسان الى حالة اللا إحساس فانه يعبر طريقا مضنيا شاقا كأنه ملىء بالعقارب والأفاعى . تلدغه وتقرصه وتنفث السم داخله وتُمرضه . إنه مشوار قد يكون قصيرا وقد يطول أحيانا . وينفث السم قطرة قطرة . ويقاوم الانسان . يقاوم بفطرته . لأنه يريد للزواج ان يستمر . يريد للشريك ان يبقى . يريد للمعنى ان يظل حيا نابضا .

أحيانا ينتصر الانسان . يطرد السم من دمه ومن نفسه وتعلو إرادة الخير ويستمر الزواج . وأحيانا يفتك السم بالاحساس وبذلك تنبت بذرة الشر الأولى . وتختمر تدريجيا فكرة الطلاق .

.. ولكن البداية ـ كما قلت ـ هى توقف الاحساس .

● ● ●

إنسان لا يصلح للزواج

.. ولنبدأ من قبل البداية . قبل اللقاء الأول .. وقبل إتخاذ قرار الزواج . وقبل عقد القران . وقبل البداية ..

فى البداية يجب أن نشير الى اننا أمام انسان غير مهيأ للزواج .. ليس لديه المقومات ليصبح روحا قابلة للذوبان فى روح انسان آخر ، ولا نفسا قابلة للمؤانسة والألفة مع نفس إنسان آخر ، ولا جسدا قابلا لصداقة جسد إنسان آخر . أنسان ليس لديه العقل الناضج ليتحمل مسئولية رعاية إنسان آخر والمحافظة عليه واسباغ الحنان والمودة من أجله .

.. البداية هى أن هناك إنسانا لا يصلح للزواج ، أو هو لا يستحق نعمة الزواج .

.. إنه الانسان الخطأ . وكل انسان لا يصلح للزواج هو إنسان خطأ . فالحياة تقوم على الزواج .. وخلق الله الزوجين الذكر والأنثى ليعمرا الأرض .. معا .

.. من هو هذا الانسان الخطأ ؟

● إنه إنسان غابت عنه معانى القدسية بشكل عام . وقدسية الزواج بشكل خاص . الانسان الحقيقى لابد أن يكون لديه الحس الباطن الذى يدرك به الأشياء المقدسة .. العلاقات المقدسة .. المعانى المقدسة .. الأشخاص المقدسين .

الشعور بالقدسية لا ينبع الا من نفس ثرية ومن جوهر قيم وروح رائعة . والانسان الذى يدرك قدسية من حوله هو ذاته به لمحة من قدسية .. فلولا النور الذى بداخله لما أدرك النور خارجه .. ولهذا ليس عجيبا أن تكون البصيرة لغير المبصرين أكثر ادراكا للنور من بعض المبصرين .

.. الزواج رابطة قدسية . علاقة خالدة . صلة إلهية . ولا يتزوج إثنان الا باسم الله وبإذن الله وأمام الله . ومن يستشعر قدسية الزواج يحافظ عليه . يبذل كل ما لديه وما يستطيع . من يستشعر

قدسية الزواج يتزوج بروحه وبنفسه وبوجدانه وبعقله وبجسده يتزوج بكله .

من يستشعر قدسية الزواج يستطيع ان يتلمس بعينيه جوانب القدسية فى الطرف الآخر فيبجله ويحترمه .. أى يقدره .. إن إحدى دعائم الاستقرار الاساسية فى الزواج هى أن الاحترام لا يستمر بدون زواج ، والزواج لا يستمر بدون احترام . والاحترام هو وليد تلك المشاعر القدسية .

الاحترام لا يكون للحبيب للزوج فحسب ولكنه يكون لكل الناس . للانسانية . للقيم .. للمعانى . للحياة . ولا يمكن ان تحترم إنسانا دون ان تحمل عظيم الاحترام لذاتك .. واحترام الذات معناه تلك الصورة الايجابية التى ترى عليها ذاتك .. صورة مركبة من الصدق والجمال .

إذن هذا هو معنى التحرك من الداخل الى الخارج .. إن البداية هى انك تستشعر نفحة القدسية فى ذاتك الانسانية فترى منها تلك الصورة الايجابية الجمالية الصادقة فتحمل لها عظيم الاحترام وتنطلق الى ما حولك من مخلوقات ومعان .. وتنطلق الى السماء لتعانق المصدر الأعظم للنور والجمال والصدق والقدسية لتعانق الحق . الخالق الأعظم .

● ولذا لا يستشعر قدسية الزواج الا من كان له حس دينى يتوافر له الايمان العميق بالله وبرسله وكتبه واتباع أوامره والبعد عن نواهيه والشعور بقدسية كل شىء وكل معنى امتد بسبب الى الله .

المتدينون يقدسون الزواج ويبغضون الطلاق . اللا دينى لا يستشعر قدسية الزواج ، وبالتالى لا يدرك أنها علاقة خالدة لابد أن توفر لها كل اسباب الثبات والاستقرار والاستمرارية .

● إن الانسان غير المؤهل للزواج هو انسان لا يستطيع ان يحب . وحقيقة الأمر ان الزواج والحب شيء واحد . الزواج حب والحب زواج . فكيف اذن يتزوج من لا يستطيع ان يحب .

إن الحب هو رابطة شمولية تشمل كل أحاسيس وانفعالات الانسان وكل جوانب حياته . وهو علاقة قدسية حباها الله بنوره ونفحاته . وفى علاقة الحب يعطى الانسان بدون مقابل ويتخلى تماما عن أنانيته ونرجسيته .

إن افتقاد الحب يتسبب فى مناطق اكثر للصراع بين الزوجين كما يجعل الصراع اكثر حدة وابعد تأثيرا .

.. وهل هناك انسان لا يستطيع ان يحب ؟

.. نعم .. وعادة هو الانسان الذى لا يستطيع ان يحب إلا نفسه . ولا يستطيع ان يعجب الا بنفسه . عدم القدرة على الحب مرتبطة بالانانية والبخل والنرجسية . بينما الزواج التصاق وامتزاج وانصهار . ذوبان . وهذا ما لايقوى عليه البخيل الانانى النرجسى .

.. وجدانية الزواج ضمان لثباته واستقراره واستمراره . والرابطة الوجدانية هى من اقوى روابط الزواج . وتبادل الحب ، العشق والغرام بين الزوجين هو بمثابة القلب بالنسبة لحياتهما الزوجية . الحب زواج ، والزواج حب . ولا يستطيع الزواج من لا يستطيع الحب .

● والانسان غير المؤهل للزواج هو انسان لا يستطيع تحمل مسئوليات الغير بشكل عام . الزواج مسئولية . اى تكون قادرا على أن تتولى مسئولية رعاية وحماية والأهتمام بانسان آخر . مسئولية العمل . مسئولية الكفاح . مسئولية مواجهة الاعباء والتبعات والصعاب والمشاكل . مسئولية المشاركة . والمشاركة مسئولية . اى

مسئولية التعاون مع انسان آخر . وهذه هى احدى القدرات أو المواهب أو الملكات .

معنى الزواج ان تعيش مع انسان آخر . وأن تكون قريبا جدا من هذا الشخص كل الوقت . أنتما معا فى قارب واحد فى مواجهة البحر بكل تقلباته ، وهذا يتطلب ان يكون كل منكما مؤهلا بموهبة التعاون البناء . المشاركة الفعالة . ليس كل الناس لديهم مقدرة التعامل والتفاعل والتعاون والمشاركة مع إنسان آخر ، ولهذا فهم لا يصلحون للزواج .

● والانسان غير المؤهل للزواج لا يستطيع ان يحترم حرية الفرد . الحياة مع انسان آخر تستلزم ان نحترم حرية هذا الانسان وإرادته .. نحترمه كفرد ونقدر تميزه ونعطية الفرص لأن ينمو ويتطور داخل اطار هذه العلاقة . كل انسان يجب ان ينمو وأن يتطور وأن يُحسن من نفسه .

كل إنسان لابد أن يشعر بحريته . وحريته هى كرامته . هى قيمته التى يؤمن بها وتتبدى فى سلوكه وأفعاله ، هى آراؤه التى يعبر عنها بدون خوف ، هى مشاعره التى يظهرها بصدق . حريته فى أن يتألم وأن يعبر عن ألمه . حريته فى ان يغضب ويعبر عن غضبه . حريته فى أن يتكلم حينما يريد وأن يصمت حينما يريد . حريته فى أن ينعزل حينما يريد وأن يخلو لنفسه . حريته فى التعبير عن رغباته لأقرب الناس إليه .. فالحرية هى إحدى دعائم الزواج الهامة .

والزواج الصحيح هو الذى يجعل الانسان يشعر بحريته وذاتيته وفرديته وتفرده وقيمته الخاصة جدا خاصة عند الطرف الآخر ومن خلاله ، وفى داخل اطار تلك العلاقة المقدسة وبما لا يتعارض مع أساسيات تلك العلاقة ، وبما لا يتعارض مع تعاليم الله وما ارتضاه

المجتمع من عادات وأصول .. الحرية هى هواء نقى يستنشقه الزوجان معا فينعش حياتهما ويجددها ويطورها ويثريها ويقويها .

.. والحرية تنبع من ايمان كل طرف بالآخر . الايمان بالانسان . والثقة بهذا الانسان . وأن تلك العلاقة المقدسة ـ علاقة الزواج ـ أساسها الاخلاص وضمانها الوفاء .

.. لهذا لا تصح علاقة عن طريق السيطرة والقهر والتعنت والعناد .. انها علاقة تمضى الى طريق مسدود . والانسان المسيطر هو إنسان غير سوى وغير مؤهل للزواج .

● الانسان غير المؤهل للزواج هو ذلك الانسان الذى يفتقد الذوق والاحساس الرقيق . الانسان الذى يميل الى تجريح الآخرين والسخرية منهم وتعنيفهم ولومهم وإنتقادهم بقسوة .. والأمر يصل الى حد الأهانة والتفوه بالفاظ نابية . ذلك الانسان عموما يتمتع بقدر محدود من الصفات السوية الانسانية وبقدر مرتفع من السادية ..

الزواج علاقة تمتد فروعها وثمارها وظلالها الى الحياة بشكل عام . الى المجتمع . الى كل الناس . وشكل علاقة الانسان بالناس عامة تمتد ايضا ظلالها على العلاقة الزوجية . سلوك الانسان فى الحياة عامة لا ينفصل عن سلوكه داخل نطاق العلاقة الزوجية .. لأنه ـ ببساطة ـ لا يمكن تجزئة سلوك الانسان .

الفظاظة وغلظة القلب وقلة الذوق هى سمات من لا يصلحون للزواج .

● لا يصلح للزواج الانسان الشكاك سيىء الظن . فالزواج علاقة تقوم على الاخلاص . والوفاء من أهم سماتها على مدار السنين الطويلة .. وفى الزواج يشعر الانسان بالطمأنينة . وهى طمأنينة نابعة من النفس ونابعة من الثقة الكاملة برفيق الحياة

وأنه أهل للزواج وأهل لتلك العلاقة المقدسة لأن به نفحة قدسية الهية .

والشك أساسه انعدام الثقة بالنفس ، ولكن الانسان يسقطه على الطرف الآخر . والانسان الذى يفتقد الثقة بنفسه يبدو مهزوزا عصبيا مندفعا قلقا سريع الغضب سهل الاستثارة دائم اللوم والتجريح مذبذب المزاج . بينما الثقة بالنفس هى مظهر من مظاهر القوة والشجاعة والاعتزاز بالذات ، والكبرياء الذى ينطوى على تواضع وسماحة وثقة بالطرف الآخر وثقة بوجود الخير فى الحياة .

الانسان الذى يفتقد الثقة بنفسه غير مؤهل للزواج وكذلك الانسان الشكاك سيىء الظن بالناس .

● ● ●

النماذج السابقة لا تصلح للزواج لأنها غير مؤهلة للزواج . ولكن بعضها قد يتزوج ، فلا احد يمنع أحدا من الزواج . ولكنه يكون زواجا يحمل فى طياته بذور القلق وعدم الاستقرار واحتمالات الفشل . وهذه هى البداية قبل البداية .. بداية الفشل قبل بداية الزواج .

● ● ●

الطفل يتعلم الطلاق ! !

● ● والبداية ـ التى أدت الى الفشل ـ قد تكون ابعد من هذا وأعمق . قد تكون الجذور الأولى ممتدة من أعماق طفولة هذا الانسان الفاشل فى الزواج . اى أن فشله أو توقعات فشله بدأت منذ طفولته .

الكثير عن علاقة الرجل بالمرأة يعرفه الطفل من خلال معايشته لأبيه وأمه . الصورة الأولى . النموذج الأول . الطبعة الأولى .

الدرس الأول . عدة دروس مرتبطة ومتعاقبة وتدور حول موضوع واحد وهو علاقة الرجل بالمرأة ، وأول الدروس عن معنى الرجل ومعنى المرأة ، ثم معنى الذكورة ومعنى الأنوثة ، ثم شكل العلاقة بينهما .. أبعادها وأوجهها المتعددة وكيفية التواصل والأتصال بينهما .

ثانى هذه الدروس عن شكل الحب الذى من الممكن ان يقوم بين رجل وامرأة يعيشان معا تحت مسمى الزواج ، وبالتالى ما هو مفهوم هذا الزواج ومعناه وجدواه .

ثالث هذه الدروس عن الصراعات التى من الممكن ان تقوم بين الرجل والمرأة اى بين الزوجين .

رابع هذه الدروس عن علاقة الوالدين بأطفالهما وعلاقتهما بالمجتمع من منطلق أنهما زوجان .

وهذه هى الدروس الحقيقية فى حياة الطفل والتى تترك أثارها الراسخة الثابتة حتى نهاية حياته وتشكل مفهومه عن كل هذه الأشياء ، تشكل مفهومه عن نفسه ثم عن الجنس الآخر ثم عن دوره فى العلاقة مع الجنس الآخر ثم مفهومه عن الزواج والحب والصراعات الزوجية . وأى معلومات تصله بعد ذلك ما هى الا معلومات مكملة لا تشكل أهمية كبيرة فى مفاهيمه التى تكونت فعلا عن هذا الموضوع . اى أن الدروس التى تلقاها فى مدرسته الأولى - البيت - هى الدروس النهائية . الدروس الثابتة التى لا تتزحزح .

كل ما انطبع بوجدانه ورسخ بذهنه يعاد تشكيله « مع الاحتفاظ بنفس المضمون » يتبدى فى سلوك هذا الانسان نحو زوجه . التاريخ يعيد نفسه . ومن شابه اباه فما ظلم . وكل فتاة تصبح مثل أمها . ويختار الشاب من تشابه امه لتكوين شريكة حياته . وتختار الفتاة

من يشابه والدها ليكون شريك حياتها .. المضمون واحد والاختلاف فى الشكل .

الطفل الذكر يتوحد مع ابيه اى يلبس ثيابه ويمشى فى حذائه ويتبنى افكاره . وكذلك تفعل الطفلة .. تعيش أفكار ومشاعر ومواقف امها . الطفل يراقب . يسمع . يرى . ونظن انه لا يفهم ولكنه يعى ويدرك كل شىء . فى البداية يعى بوجدانه وبعد ذلك يدرك بعقله .

● وفكرة الزواج الراسخ الثابت المستمر يتعلمها الطفل من والديه . وذلك حين يشعر بالطمأنينة باستقرار البيت . بصلابة أعمدته . التهديد المستمر بانهيار البيت يفزع الطفل ثم يرسخ فى داخله .. أن أى حياة زوجية قابلة للانهيار ، وأنه من الممكن ان يستيقظ فلا يجد أمه بالبيت أو أن أباه قد غادره للابد .

وعلى العكس من ذلك هناك بيت يبعث فى نفس الطفل كل دواعى الطمأنينة ويؤكد فى ضميره أن الحياة الزوجية هى حياة خالدة أبدية فى الدنيا وأنه من المستحيل ان يحدث انفصال الا عن طريق الموت . بل حتى الموت لا يستطيع ان يأخذ معه الحب والمودة ، فالمودة مستمرة وباقية حتى ولو اختفى احد الطرفين عن طريق الموت ..

البيت المستقر يخلق طفلا قويا تملأه الثقة بنفسه وبوالديه وبالزواج وبالحب وبالحياة عموما . البيت المهزوز ينزع هذه الثقة فيخلق طفلا مهزوزا وانسانا مهزوزا غير قادر هو نفسه على حفظ الاستقرار والثبات لبيت المستقبل .. غير قادر على الثقة بالحياة .. بالعواطف وبالبشر .

إن كلمة الطلاق لو ترددت مرة واحدة على مسامع الطفل فإنها تظل ترن فى أذنيه مدى حياته وتثير الفزع فى نفسه . وتكرار سماعها

يفقدها رهبتها ويخفف من بغضائها ووقعها ويجعلها سهلة . والسهل من الممكن وقوعه . ومثلما سمع امه ترددها أو أباه يتفوه بها ، فإن عقله يستسيغها ولسانه يرددها بسهولة ..

وبعد مشاعر الطمأنينة والاستقرار يترسخ مفهوم ثان وهام يتعلق بالحب . الحب الزوجى . والحب بين الزوج والزوجة . بين الأب والأم . اذا وعاه الطفل وأدركه وأحس به ورآه وشمه وتذوقه فانه لابد أن يعيشه مرة ثانية مع زوجة . ولا يمكن ان يتخيل او يتصور حياة زوجية بلا حب . ويرتبط عنده الحب بالزواج . ويصير الحب زواجا والزواج حبا .

الحب يملأ حياة الطفل بالبهجة والحيوية والنشاط والتدفق والحماس والجمال وايضا الطمأنينة . وأيضا الثقة . ثقة الانسان بالانسان . ثقة الزوج بالزوجة . وثقة الزوجة بالزوج . الثقة بأن هناك مشاعر عظيمة خالدة وأبدية من الممكن ان تربط بين رجل وامرأة فى اطار الزواج . وان الحب يدعو الى الزواج ، وأن الزواج يدعم ويرسخ الحب بل ويخلق ايضا مزيدا من الحب .

والحب هو المودة والرحمة . وهو ايضا الاحترام وبذلك يرسخ فى عقل الطفل ويثبت فى وجدانه ان الزواج هو أروع صورة للعلاقة الانسانية المثلى ، وتتجلى فيه القيم الانسانية السامية من مودة ورحمة وعطف وشفقة وتسامح وألفة وتواضع وعطاء بلا حدود .

ان التنافر بين الزوجين يدمر كل هذه المعانى عند الطفل حين يتشبع هواء البيت بالكراهية المسمومة الجافة . يراها فى عينى أبيه الجامدة الجافة . يراها فى عين امه التى تحمل فى نظراتها العداء والحقد . يراها فى التعامل الخشن ويسمعها فى الالفاظ الجارحة الممزوجة بالمرارة والمحملة بالسخرية والتهكم . يراها فى القسوة المتبادلة ، فى التحدى الساخر . فى المشاجرات الدائمة . فى الصوت

العالى . فى الالفاظ البذيئة . احيانا فى التشابك بالأيدى .

وقد تكون الكراهية غير ظاهرة . غير معلنة . ورغم ذلك يشعرها الطفل . يشمها . يراها . يسمعها . إن حواس الطفل جميعها مهيأة بالغريزة لالتقاط ابسط اشارات الحب أو الكراهية . الكراهية المختفية تتبدى رغم ارادة الطرفين فى الابتسامة الصفراء فى الصوت غير الودود ، فى حركات الجسم المتشنجة ، فى العطاء غير النابع من القلب والذى يتوقف على عطاء الطرف الآخر مثل تعامل الغرباء فى سوق الحياة ، العطاء غير النابع من القلب هو عطاء غير صادق ، مشروط ، محدود ، وهو عطاء مادى بحت ،

إن نظرات العينين ، وتعبيرات الوجه ، ونبرات الصوت ، وحركة الجسد تعكس بوضوح المشاعر الانسانية حتى إن لم ينطق بها الانسان .

والطفل الذى ينشأ فى جو الكراهية المعلنة أو غير المعلنة يفشل فى التجاوب بالحب مع شريك حياته . وأسوأ درس يتعلمه هو أن الزواج من الممكن ان يقوم وأن يستمر بدون حب . وأن العلاقة بين الزوج والزوجة من الممكن ان تكون علاقة ندية لا يعطى فيها الانسان الا بقدر ما يأخذ ، وأن المصلحة الشخصية تعلو فوق مصلحة الطرف الآخر ومصلحة الزواج والأسرة .

فى جو الكراهية يتعلم الطفل الانانية يتعلم ان يتعايش مع المشاعر السلبية ولا يرى فى ذلك اى معوق للحياة .

فى جو الكراهية يتعلم الطفل الحقد والعداوة والقسوة .

فى جو الكراهية لا يتعلم الطفل اسلوب حل الصراعات مع أقرب الناس . بل يتعلم كيف يعمق هذه الصراعات ويزيد من حدتها . يتعلم فن المباريات غير الشريفة وغير النزيهة . يتعلم كيف يغيظ الطرف الذى أمامه . يتعلم كيف يؤذى . كيف يعاقب بقسوة .

كيف يظلم . يتعلم كيف يصبح شريك الحياة على هامش حياته وليس محورها . تصبح له أولويات اخرى . مع انه فى الزواج الصحيح ، الزواج الحقيقى ، الزواج الصادق ، الزواج السعيد ، يكون شريك الحياة هو محور الحياة .

والكراهية تفتح ابواب الخيانة لمن لديهم الاستعداد للخيانة . وقد يرى الطفل ذلك بعينيه ويسمعه بأذنيه ويدركه بمشاعره ثم يفعله عندما تتكون ارادته على الفعل . وهذه هى كارثة الكوارث . ويتعلم الطفل اول درس فى عدم الاخلاص . ويصبح الوفاء قيمة لا معنى لها عند الطفل .

ومن كانت امه خائنة .. فالخيانة تصبح سهلة عليه ، وكذلك من كان أبوه خائنا .

حقيقية أن الخيانة ، مرض لابد أن يكون الانسان لديه الاستعداد التكوينى لكى يخون . ولكن الظروف البيئية المحيطة تصبح عاملا قويا فى تفجير هذا الاستعداد واظهار المرض وخاصة اذا عاش الطفل نفس الظروف حين يكبر ويتزوج .

● ثم نأتى الى ثالث الدروس التى يتعلمها الطفل من الحياة الزوجية من امه وأبيه وترسخ فى ذهنه وتتبدى فى سلوكه حين يتزوج .. وهى عن دور الرجل ودور المرأة .

إن هذا قد يختلف من مجتمع الى مجتمع ومن بيئة الى بيئة ، ومن مستوى اجتماعى ثقافى تعليمى الى مستوى اجتماعى ثقافى تعليمى آخر . ولكن تبقى الحقيقة الأزلية الخالدة الراسخة وهى أن هناك دورا أنثويا فى الحياة ودورا آخر يقوم به الذكر ، دور للمرأة ودور للرجل صورة نموذجية للمرأة الانثى وصورة نموذجية للرجل الذكر .

وأحد الصراعات التى من الممكن أن تنشأ بين الزوجين هو محاولة احدهما النيل من دور الآخر ومكانته .

.. قد تنافس المرأة الرجل فى مجالاته الرجولية الذكرية . قد تحاول أن تنال منه فى هذا الاتجاه . قد تحاول ان تجهض رجولته . ربما لا يكون ذلك عن عمد ولكن عن زيادة السمات الذكرية فى شخصيتها . أو ربما لأنها لم تقتنع بزوجها كرجل حقيقى . وربما لأن امكانات هذا الرجل الرجولية الذكرية محدودة مما أتاح للأنثى السوية التى أمامه ان تجتاز الحدود لتعتدى على رجولته وذكورته المنقوصة .

هذه الصورة تؤثر سلبيا على شخصية الطفل الذكر والطفل الأنثى . تهتز صورة الرجل ولا يجد الطفل نموذجا حقيقيا متكاملا يتوحد معه . وترسخ فى ذهنه صورة الأب الضعيف والأم القوية المستبدة .

والابنة ايضا تنصرف عن هذا النموذج الذكرى الضعيف وتظن ان كل الرجال ينتمون الى نوعية ابيها ، وتتوحد مع النموذج الانثوى القوى لأمها وهو النموذج غير السوى الاقرب الى طبيعة الذكور .

والغريب فى الأمر ان هذا الطفل حين يكبر ويتزوج فانه يختار نموذجا اقرب الى طبيعة امه . وان هذه الطفلة حين تكبر وتتزوج تختار نموذجا اقرب الى طبيعة ابيها .

هذا الطفل حين يكبر لا يستطيع ان يتعايش مع أنثى حقيقية . وهذه الطفلة حين تكبر لا تستطيع ان تتعايش مع ذكر حقيقى . وبذلك يلتقى دائما النموذج الانثوى المسيطر مع النموذج الذكرى الضعيف .

هذا النموذج الانثوى المسيطر لا يمكن ان يتقبله ويتعايش معه

الا نموذج ذكرى ضعيف ، وهذا النموذج الذكرى الضعيف لا يمكن ان يتقبله ويتعايش معه نموذج انثوى سوى . وهو ذاته لا يمكن ان يتعايش مع النموذج الانثوى السوى . ولهذا لا يقبله الا نموذج انثوى مسيطر .

هكذا يحدث تشويش فى الهوية الجنسية لدى الطفل سواء اذا كان ذكرا أو انثى . يضطرب الاحساس بالذات . يضطرب الاحساس بالانتماء الى جنس معين . يضطرب التصور عن طبيعة كل جنس ودوره فى حياة وشكل العلاقة الطبيعى بين الجنسين .

هذه النوعية من الاضطرابات هى أحد المصادر الرئيسية والاسباب الفعلية للزواج الشقى غير السعيد .

● والازواج الصامتون ينتجون ابناء صامتين . والصمت هنا بمعناه السلبى . انه الصمت الذى يعنى ان كل طرف يخفى مشاعره وافكاره وانفعالاته الحقيقية ولا يبادلها مع الطرف الآخر .

لا نقصد هنا الصمت الكلامى . فمن الطبيعى ان يصمت الازواج فى أوقات غير قليلة لأنه ليس من المعقول ان يظلوا يتكلمون كل الوقت . لابد للانسان ان يصمت عن الكلام بعض الوقت ليخلو الى نفسه ويتأمل داخله ويعيش افكاره ومشاعره ويراها ويحسها بوضوح ، ولكى يتاح له ايضا التفكير فى الطرف الآخر ، وكذلك التفكير فى مشاكل الحياة الأخرى الخاصة والعامة .

ولكن هناك نوعا اخر من الصمت وهو الصمت السلبى وهو يعنى اختناق قدرات التعبير والتبادل والتفاعل المستمر والمشاركة فى كل دقائق الحياة وكل خطرات النفس وذبذبات الوجدان وتفانين الفكر .

فالحياة الزوجية هى حياة المشاركة وليست حياة التباعد .. هى حياة الاقتراب والالتصاق والذوبان .. اى حياة التفاعل التلقائى الحر وليست حياة الاستقلال . الحياة الزوجية هى حياة التعبير

الحر الصادق التلقائى وليست حياة الانغلاق على الداخل .

الطفل بكل حواسه يدرك ـ بالتفاصيل ـ نوع التبادل الذى يحدث بين والديه . يتعلمه . ومادام انه صادر عن والديه ، فإنه يتقبله كحقائق لابد ان ترسخ ونموذج كامل لابد ان يحتذى كسلوك . الطفل لا يستطيع بسهولة ان يحيد عما تعلمه عن أبويه . ان ما يتعلمه عن أبويه هو اشياء مقدسة غير قابلة للمناقشة . واذا اكتشف عدم صحتها او عدم موضوعيتها أو زيفها حين يكبر فانه لا يستطيع رغم ذلك ان ينتقدها او يهاجمها كما لا يستطيع بسهولة ان يغيرها فى داخله . انه النقش على الحجر الذى لا ينمحى بمرور الايام والسنين ولا يتغير بأفكار بديلة .

ولهذا يتعلم الطفل الصمت . يتعلم المشاركة النصفية والتبادل غير الكامل والتمادج المنقوص والانصهار المحدود والتفاعل القليل جدا . انه صمت الافكار وصمت العواطف وصمت الانفعالات وبذلك تكون هناك مسافة . هوة . او جدار . تواصل غير كامل .

وليس بالضرورة ان يعكس هذا عداء او عدم حب او عدم اهتمام . ولكنه اسلوب . طريقة . طباع . شخصية معينة . شكل من اشكال التفاعل والتبادل الانسانى .

المهم ان الطفل سينقل هذا الاسلوب معه ليكون هذا هو شكل تفاعله مع شريك حياته .

● ويرتبط بالنقطة السابقة ايضا امر له اهميته وهو ان الحب الحقيقى قد يكون موجودا ولكن دون ان يعبر عنه .

وهذا ايضا مرتبط بنوعية معينة من الشخصيات التى تعجز أو لا تجيد ان تعبر عن عواطفها الحقيقية الجياشة الصادقة . قد يكون هذا السلوك نوعا من الخجل او الحياء او عدم ادراك اهمية التعبير عن مشاعر الحب أو الانشغال او تصور خاطىء ان هذا لا يصح امام الأطفال .

هذا الطفل سيجد صعوبة ايضا فى التعبير عن عواطف الحب لشريك حياته . وفى بعض الاحيان يخلق هذا الاسلوب مشكلة مع شريك الحياة وخاصة اذا كان محتاجا لتأكيد العواطف عن طريق الكلمات .

قد يتصور البعض ان التعبير عن عاطفة الحب لا ينبغى ان يكون بالكلمات ولكن يظل مهما عند البعض الآخر ان يكون التعبير عن الحب بالكلمات بالأضافة طبعا الى وسائل التعبير الأخرى .

ولكن حين يسمع الطفل كلمات الحب الصادقة متبادلة بين والديه فانه سيرسخ لديه اكثر المعانى الجميلة للحب الزوجى . ان الطفل فى سنه الصغيرة يحتاج الى وسائل التعبير الواضحة والظاهرة لتتأكد لديه المعانى .

● ولغة الحوار الزوجى يتعلمها الطفل ايضا عن والديه وتصبح هى ذاتها نفس لغته التى يتحاور بها مع شريك حياته . ان أحد الاسباب الهامة للصراع الزوجى تدور حول هذه اللغة وخاصة اذا كان هناك تفاوت بيئى بين الزوجين .

البعض لا يملك الا ان يحاور بلغة ركيكة والفاظ متدنية المعانى وعبارات غير طيبة . وهؤلاء يجدون رفضا وضيقا ونفورا ممن تعودوا على الأهتمام بالجوانب الجمالية فى الحوار ولا ينطقون الا بكلمات طيبة والفاظ رفيعة وعبارات سامية تؤكد رفعة المستوى البيئى والثقافى والتعليمى والاجتماعى الذى نشأوا فيه وأتوا منه .

الابن سيخاطب زوجته بنفس الطريقة التى كان ابوه يخاطب بها امه .

والابنة ستخاطب زوجها بنفس الطريقة التى كانت امها تخاطب بها أباها .

● والاسرة الديكتاتورية التى ينفرد فيها شخص واحد بالقرار تنتج ابناء وبنات يتسمون بالديكتاتورية . والديكتاتورية هى الالغاء الكامل للطرف الآخر ، بمعنى الغاء دوره كعقل وككيان قادر على التفكير والمشاركة وتحمل المسئولية .

والديكتاتورية بهذا المعنى تصبح اجهاضا كاملا لمعنى الزواج ومضمونه والهدف منه . انها هدم لكل اساسيات وقيم الزواج . فالزواج هو ان نكون معا . هو المشاركة . هو المسئولية . هو الرعاية المتبادلة والأهتمام المتبادل . هو الهدف الواحد . والمستقبل الواحد .

الديكتاتورية هى أنانية ونرجسية وسادية .

الديكتاتورية قهر . قهر لمعنى الانسانية . اى ان الديكتاتورية حالة لا انسانية . واذا كانت الأم ديكتاتورية تصبح ابنتها مثلها . واذا كان الأب ديكتاتوريا يصبح ابنه مثله . ثم تصير الابنة زوجة ديكتاتورية . ويصبح الأبن زوجا ديكتاتوريا .

● ● وفى ظل الديكتاتورية يختل المعنى وتتشوش الصورة .. صورة الزواج . انه زواج مضطرب . زواج لا يحقق سعادة حقيقية . زواج غير مشبع . زواج لا يحقق الحد الأدنى من المتطلبات الروحية والنفسية بالرغم من أنه قد يحقق الحد المعقول أو حتى الحد الأقصى من المتطلبات المادية .

● ● وقد يقبل الطرف المجنى عليه ديكتاتورية الطرف الأخر ، يقبل ان يُلغى عقله وتُمحى شخصيته ، يقبل ان يصبح هامشيا فى تلك العلاقة .

قد يقبل لأن هذه هى امكاناته وقدراته وهذه هى شخصيته . وقد يقبل مكرها وعلى مضض لظروف خاصة . ولكن قد ينقلب الحال ـ وربما بعد سنين طويلة ـ حين يضعف الديكتاتور .

قد يضعف بسبب تقدم العمر أو بسبب مرض او لانهيار اقتصادى او اجتماعى او سلطوى اصابه وجعله ضعيفا من بعد ان كان يستمد منه القوة .. حين يسقط الديكتاتور أو يضعف تتحفز انياب وأظافر الطرف الآخر .

وشعوريا او لا شعوريا ينكل بالديكتاتور الضعيف . وعن تعمد او بدون تعمد ينتقم من الديكتاتور الضعيف فتنعكس الصورة .. تنشط الجوانب السادية والانتقامية والعنيفة فى الجانب الذى عاش طويلا فى ظل القهر فينتقم من الديكتاتور المنهار . وتلك أسوأ نهاية للعلاقة الزوجية . وتلك أسوأ صورة لمعنى الزواج . وذلك أفظع درس يتلقاه الأبناء عن الزواج .

هكذا تنتقل الديكتاتورية من جيل الى جيل . وهكذا تنتقل العداوة من جيل الى جيل . ولا يصح زواج فى ظل الديكتاتورية حتى وان استمر . واستمراره سينطوى على عداوة مستترة مكبوتة واحساس بالقهر وشعور بالظلم وانتظار للوقت المناسب للانتقام ..

الديكتاتور انسان غير مؤهل للزواج . اى لا يصلح للزواج . واذا تزوج فلن يقيم حياة زوجية موفقة . وستمتد عدوى ديكتاتوريته الى الجيل الذى بعده .

الفصل الثانى

الشخصية والزواج

● شخصيات صعبة

تحدثنا فى الجزء السابق عن المعنى المأساوى للطلاق . وعن الانسان الذى لا يصلح للزواج . فإذا تزوج فإن الحياة الزوجية تصبح مهددة بالطلاق . ومن الأفضل أن نقول إنه إنسان مهيأ للطلاق . وأن سمات هذه الشخصيات الانفصالية يكتسبها الانسان منذ طفولته فى ظل حياة أسرية غير سعيدة .

●● ولو أردنا تحديدا ، فمن الأفضل أن نتحدث عن شخصيات غير سوية .. شخصيات لا تصلح للزواج . وإذا تزوجت أسهمت فى حياة زوجية غير سعيدة مهددة بالطلاق . شخصيات متطرفة أقرب إلى المرضى . شخصيات من الصعب الحياة معها .

الطب النفسى صنف هذه الشخصيات وأعطاها أسماء وحدد لها سمات . شخصيات تعيش بيننا . تعذبنا وتقلقنا وتجعل الحياة صعبة خالية من أى متعة أو راحة أو سلام . شخصيات تفزعنا وتنزع من نفوسنا الاحساس بالطمأنينة . إنها شخصيات صعبة .

١ - الشخصية النرجسية :

●● هو المختال الفخور الذى يمشى فى الأرض مرحا كأنه قادر على أن يخرق الأرض وأن يبلغ الجبال طولا . هو المغرور المتكبر المتعالى الذى لديه شعور طاغ بأهميته وبأنه هو الأوحد الذى يملك أندر الصفات وأغلى المواهب ولا أحد مثله ولا أحد يضاهيه ولا أحد يملك أن ينافسه . والويل لمن يحاول أن يبرز بجواره أو أن يتعداه . أو حتى أن يرفع قامته بجانبه . فهو لا يرى إلا نفسه عملاقا دون بقية الناس . إنه معجب بنفسه أيما إعجاب ، مزهو بذاته إلى حد الجنون .

إنه عشق الذات الذى يقف حائلا أمام عينيه وعقله فلا يرى الناس إلا أقزاما أقل قدرا وأقل شأنا منه . ولهذا فخياله دائما يتجه ناحية النجاح غير المحدود ليكون فى القمة ليتجه إليه الناس مهنئين معجبين مباركين تابعين . والمحيطون به لابد أن يسخروا أنفسهم لخدمته وراحته والعناية به . هو يستغلهم ويستثمر امكاناتهم ويستنفد طاقاتهم لخدمة مصالحه ثم ينكر جهودهم فى النهاية ويبدو هو فى صورة المبدع الخلاق العالم المفكر ، بينما الحقيقة أنه قام بتجميع جهود الآخرين وصاغها فى قالب ثم سطر عليها اسمه بخط عريض بارز .

تعرفه من ملابسه الذى يبالغ فى أناقتها والتى قد لا تتناسب أحيانا مع عمره .. تعرفه من طريقة مشيته ، تعرفه من صوته . تعرفه من طريقة حديثه عن نفسه وإنكاره واحتقاره لجهود الآخرين .

إنه لا يحمل مشاعر لأى إنسان . لا يتعاطف ولا يتألم من أجل أحد . لا يضحى . لا يتنازل . لا يعطى . وإذا أعطى فمن أجل مصلحة . ولا يتورع عن إذلال من أعطاه . فهو الذى يتبع صدقته بالمن والأذى . وصدقته ليست لوجه الله ولكن من أجل أن يحقق شهوة التفضل والتميز والعلو ، ولا شىء يشغله غير ذاته المتضخمة المتورمة فهو متمركز حولها ، وبالتالى فهو يبالغ دائما فى قدراته وإنجازاته . وهى مبالغة غير موضوعية .

ولشدة ولعه بالاستحواذ على اهتمام الآخرين وشدهم إليه ليدوروا حول مركزه ، فإن اهتمامه بالسطح وبالقشرة وبالمظهر يكون طاغيا على حساب الاهتمام بالموضوع . فلا عمق لديه بل هو إنسان ذو سطح لامع وخاو جدا من الداخل . ولهذا لا يحقق إبداعا حقيقيا أو إنجازا علميا .

إنه لا يضيف شيئا بل هو مقلد مزور ، وهو يجيد فقط تلميع ماعنده وحسن عرضه ، كالتاجر الماهر الخادع الذى يهتم اهتماما بالغا بواجهة العرض وإبراز بضاعته وحسن تنسيقها ورفع سعرها ورفع شأنها مع أنها بضاعة في حقيقة أمرها متوسطة الجودة .

وهو يتوقع أن الناس لابد أن تجامله وأن تهادنه وتقدم إليه الهدايا وأن تتطوع لخدمته ، وبالرغم من ذلك لا يشعر أنه أصبح مدينا لهم بالمقابل وليس مطلوبا منه أن يجاملهم وأن يهدى إليهم ، أو أن يقدم لهم خدمات مقابل ما قدموه له . فالرعية هى التى تتودد وتتفانى فى خدمة الملك وليس الملك هو الذى يتودد إلى الرعية .

ولذا فهو يغضب ويثور ويتوعد إذا لم يقم المحيطون بواجبهم نحو خدمته ومجاملته . وغضبه يصل إلى مداه إذا تجاهلوه وعاملوه بغير اهتمام . يمتلىء قلبه غيظا وحنقا ويهاجمهم ويؤذيهم إذا تمكن من ذلك . هذا الانسان تكون توقعاته من الناس غير معقولة وغير متوازنة .

●● علاقاته بالناس قائمة على الاستغلال والانتهازية والأنانية . أصدقاؤه مرحليون . كل حقبة بأصدقاء جدد يمتص دماءهم ويستفيد منهم حتى إذا اكتشفوا أمره وكرهوا غروره انتقل هو إلى مجموعة جديدة لا تعرف تشوهاته النفسية . ولهذا لا أصدقاء دائمين مخلصين . لا أحباء . لا صلات مودة . لا مواقف إنسانية . لا إحساس بضعف الآخرين ومعاناتهم .

●● هذا الانسان معرض لنوبات اكتئاب وخاصة إذا تعرض لفشل ، أو إذا تحدى الآخرون كبرياءه وغروره وإذا تجاهلوه أو احتقروه .

●● ونرجسيته تجعله شديد الحرص على نفسه أى على صحته . يراعى نظاما غذائيا صحيا ويمارس الرياضة ويتابع

حالته مع الأطباء . يهتم بأن يبدو دائما شابا وقويا ويعانى نفسيا كلما تقدمت به السن . ويداهمه الاكتئاب الحقيقى إذا انتزعت من يديه السلطة والقوة وابتعد عن دائرة الضوء والاهتمام بإقالته أو حين إحالته للمعاش . وهنا تبدأ أيضا معاناته الجسدية من آلام واضطرابات لينشغل بها لدى الأطباء .

●● والنهاية تكون مؤلمة . لأن الانسان يسير إلى ضعف . السلطان يزول . والمال يقل . والقوة تضمحل . والجمال يذوى . والصحة تعتل . ولا يبقى أمام النرجسى إلا الحسرة والأسى .

● ● ●

هذا هو الانسان النرجسى . وهو يجعل الحياة الزوجية صعبة . فهو لا يستطيع أن يُحِب . وبالتالى فهو لا يُحبّ . أى أنها حياة تفتقد الحب . وبالتالى تفتقد المودة والرحمة . حياة جافة . جوفاء . سطحية . مظهرية . شكلية . حياة بلا معنى ولا مضمون ولا عمق . حياة باردة إلى حد الصقيع . بعض الناس لا يحتملون الحياة الدائمة مع إنسان نرجسى . ولذا فالحياة الزوجية قد تنتهى إلى طلاق . بعد سنة . أو حتى بعد عشر سنوات . أو بعد عشرين سنة .

٢ ـ الشخصية الاضطهادية .. البارونويد ..

●● المحور الأساسى الذى تدور حوله هذه الشخصية هو الشك فى كل الناس . سوء الظن . توقع الايذاء من الآخرين . كل الناس فى نظره سيئون . هذا هو موقفه الذى لا يتزحزح عنه ، وهذا هو رأيه فى كل الناس .

●● إن أى إنسان قد يشك أو قد يسىء الظن فى إنسان آخر أو فى مجموعة من الناس فى ظروف معينة . ولكنه إذا كان سويا فإنه يغير رأيه إذا أثبتت الظروف حسن نية الآخرين ، أو إذا كان هناك

دليل على براءتهم . هنا يعتذر هذا الانسان السوى عن سوء ظنه وشكه ويؤنب نفسه .

أما البارونويد فإنه يظل على موقفه مهما كانت الأدلة ومهما أظهر الآخرون حسن نواياهم ومهما أجمع الناس على أنه مخطىء فى سوء ظنه . إنه يتمسك بشكوكه ويظل يرى السوء فى الآخرين . ولهذا فهو فى حالة تحفز . فى حالة استعداد دائم لصد عدوان يتخيله أو إفساد مؤامرة تحاك ضده .

●● وكل من يحاول أن يثنيه عن سوء ظنه يضعه فى القائمة السوداء ويضمه إلى قائمة السيئين ، ولهذا فهو دائم الشعور بالاضطهاد . والشعور بالاضطهاد يولد عدوانية داخلية . فهو ضد كل الناس ويضمر الكراهية أو عدم الارتياح أو عدم الحب لمعظم الناس . ومن السهل أن يتحول إلى شخص عدوانى يؤذى إذا أتيحت له الفرصة لذلك .

والعدوان قد يأخذ صورا متعددة ، كالنقد اللاذع والسخرية والاستهزاء بالآخرين . قد يواجه الناس برأيه فيهم وقد ينتقدهم من خلف ظهورهم . وانتقاداته جارحة وتسبب حرجا وألما ، ولا يراعى مشاعر الآخرين ، بينما هو لا يتقبل أى نقد أو توجيه ، فهو شديد الحساسية لآراء الآخرين ويتخذ مواقف عنيفة وعصبية فيها تهور إذا تعرض له أحد بالنقد أو باللوم . ولذا فهو معدوم الأصدقاء وعزلته تزيد من شعوره بالاضطهاد وتزيد من عدوانيته وعداوته .

●● والحوار مع هذه الشخصية مضن ومتعب ، فهو لا يتقبل ظاهر الكلام وإنما دائم البحث عن الدوافع الخفية والمعانى الدفينة . والنقاش معه يطول ويطول وهو فى الغالب محاور بارع يجهد من يحاوره ويحمل المواقف والكلمات أشياء ومعانى بعيدة أو مبالغا فيها . تتوه وأنت تحاوره وقد لا تفهم ماذا يقصد

وتندهش لتفسيراته وتحليلاته المشبعة بسوء الظن وتوقع الغدر والخيانة وكل ما هو سيىء ..

هذا الشخص إذا أكدت الأحداث توقعاته شعر بزهو شديد ، أما إذا أكدت الأحداث خطأ توقعاته وتحليلاته فإنه لا يتراجع عن سوء ظنه . حتى فى المواقف الجديدة ومع الناس الذين يقابلهم لأول مرة ، فإن سوء ظنه يكون هو الغالب ، ولذا يجتهد فى البحث عن أدلة لإثبات صحة نظريته .

●● وهذا الانسان بلا عواطف ، أو عواطفه محدودة جدا ، وتستطيع أن تقول إنه إنسان بارد . وكلمة بارد ذات دلالة ومغزى كبيرين ، ومعناها أنك لا تستقبل منه أى شىء ، لا تستقبل منه دفئا أو مودة أو تفاهما أو تعاطفا . بل على العكس تهب عليك من ناحيته رياح باردة شائكة وسامة أيضا . وهو يفتقد لروح الفكاهة والمرح ، قليل أو نادر الابتسام ، لا يضحك من قلبه ، وابتسامته سوداء صفراء ساخرة . والغريب أنه يصف نفسه دائما (ليدافع عن برودته) بأنه إنسان موضوعى عقلانى . العقل عنده مقدم على العاطفة . والحقيقة أنه لا عقل لديه ولا عاطفة . فهو لا يتألم من أجل أى إنسان أو حيوان .

●● وهو صلب . لا يتنازل . ولا يقبل حلولا وسطا . تقلقه محاولات التودد والاقتراب من الآخرين . يتحاشاهم ويبتعد عنهم . يتحاشى أى تورط وجدانى . ولذا يحاول الاعتماد على نفسه دائما والاكتفاء الذاتى ، ولذا فهو متمركز حول نفسه بشكل خطير قد يصل إلى الاحساس المرضى بالتيه والزهو والشعور بالأهمية . إنها حالة من تضخم الذات التى تكون من سمات الشخصية البارونيد فى غالب الأحيان .

تكثر هذه الشخصية بين المتعصبين والمتطرفين وأصحاب الأفكار

الغريبة والباحثين عن الزعامة والذين يتجسسون على الناس للايقاع بهم كما تكثر بين الذين تقدم بهم العمر بدون زواج . وأيضا تكثر بين المطلقين والمطلقات .

وفى مجال العلاقة الزوجية فإننا نجد أن الزوج البارنويد علاقته بزوجته مضطربة لسوء ظنه وغيرته وشكه وتقليله من شأنها وحساسيته لأى كلمة تصدر عنها . حياته الزوجية يسودها البرود وتلفها عداوة مستترة . ونفس الأمر فى علاقته بأبنائه .

ولسوء ظنه وشكه الدائم فإنه يبث فى أبنائه وبناته عدم الثقة والحذر المبالغ فيه وعدم القدرة على إقامة علاقات مشبعة مع الآخرين . والزوجة التى لها هذه الشخصية تحقق نفس القدر من الخيبة فى الحياة الزوجية وغيرتها تصل إلى حد المرض ، ومن المستحيل أن تثق ولو للحظة فى صدق زوجها ، فهو فى نظرها فى كل الوقت كاذب ومخادع وخائن وتتوقع منه الغدر فى أى لحظة .

●● إذن الحياة الزوجية للانسان البارونيد رجلا كان أو امرأة هى حياة فاشلة . فلا حياة تقوم على الشك وسوء الظن . ولا حب يستمر مع التعالى والغطرسة ، ولا مودة تسود مع روح التحفز والتوقع السيىء .

٣ ـ الشخصية الهستيرية :

التعامل مع هذه الشخصية يسبب ازعاجا وحيرة وتوترا وضيقا . وإذا كان الانسان مضطرا للتعايش معها فإنه يصاب بالاحباط واليأس ويستولى عليه النفور . فهى صارخة متقلبة واعية وغير واعية بسلوكها الذى يسبب غيظ الآخرين وحنقهم وحيرتهم . وهى لا تبالى بمشاعر الآخرين واحتياجاتهم ، وإنما يهمها ذاتها وراحتها وتحقيق رغباتها .

●● أنانية بلا حدود ، ليس لديها ذرة عطاء للآخرين . وإذا أعطت فذلك أمر مؤقت مرهون بقضاء مصلحة أو حبا فى الظهور . ولذلك فهى لابد أن تعلن عن عطائها حتى وإن كان فى ذلك جرح لمن أعطت . فهى قد تتنكر لصديق محتاج أو فقير أو مريض فى أشد الاحتياج وتضن عليه بالقليل ، ولكنها فى نفس الوقت تعلن عن تبرعها بمبلغ كبير فى حفل عام لجمعية ترعى الحيوانات من أجل أن يقال عنها أنها محسنة كريمة .

●● وأنانيتها مرتبطة ببخلها ومرتبطة أيضا برغبة مطلقة فى الاستحواذ على كل شىء .

●● وسلوكها فى أى وقت وفى أى مكان فج أو حارق أو زاعق أو صارخ . أى لابد أن يلفت النظر .. تلك هى سمة أساسية أو هى محور كل السمات فى هذه الشخصية الغريبة . فهى لا يمكن أن تتواضع أو تتوارى أو تخجل أو تقف فى الصف الثانى أو تنكر جهدها أو تقدم غيرها على نفسها أو تصمت أو تتبسط فى مظهرها .. أنها دائما تسعى لأن تكون فى الصف الأول . وفى قلب الصف الأول أى فى المركز حيث دائرة الضوء . وأن تلفت كل العيون بمظهرها الصارخ جدا . فمن المستحيل أن تراها بفستان بسيط وألوان هادئة . ولذا فجنون الموضة هو من أجل إرضاء صاحبات الشخصية الهيسترية . وهدفها بالطبع أن تكون هى محط كل الأنظار وليس بعضها . والويل لمن يتجاهلها أو يبدى اهتماما بغيرها .

إنها تنقلب ضده وتهاجمه وإن أمكن تجرحه .

ولفت الأنظار لايكون بالمظهر فقط وإنما باللسان والصوت وحركات الوجه والضحكات الرنانة والحديث المتواصل الذى لا ينقطع . ولابد بالطبع أن يكون حديثا مثيرا ، ولذلك فهى تبالغ

فى كل شىء وتحكى عنه بإحساس عميق (زائف) وتأثر بالغ وكأنها تؤدى دورا على المسرح . درامية التعبير والسلوك مبدية على السطح كمّا من العواطف الجياشة ولا مانع من أن تدمع عيناها تأثرا ..

●● حماسها لأى شىء جديد لا حدود له .. وسرعان ما يفتر هذا الحماس ويخمد ويتبخر نهائيا ، وربما تتبنى موقفا مضادا لنفس الشىء الذى تحمست له فى البداية .

●● عواطفها لأى إنسان تتعرف عليه فياضة جياشة . وتعيش قصة حب تهتز لها الأفئدة . وتتهور وتندفع وتصرخ وتعادى من أجل حبها . ولكنها مثل تأثير الخمر فى العقول ، تحدث نشوة ثم تتبخر وتخلف الضجر والصداع . هكذا ينقلب حبها إلى إحساس بالملل والفتور والاعياء واللامبالاة وكأنه لم يعبر بقلبها شىء .

●● وتصادق بنفس الطريقة . حماس وارتباط وهيام والتصاق .. ثم بعد ذلك لا شىء .

●● ولذا لا حبيب لها .. ولا صديق لها .. ولا صديقة لها .. حتى أقرب الناس إليها يبتعدون عنها . يتحاشونها لأنها متقلبة ، لا أمان لها ، ولا يمكن الاعتماد عليها ولا يمكن الوثوق بها . غير ملتزمة ، غير مهتمة ، غير مخلصة ، وأيضا غير صادقة . فهى تكذب وتكذب . فالكذب سمة من أهم سماتها . والنميمة من أهم قسماتها . فحديثها عن الآخرين دائما ليس به خير .

فهى تلوك سيرة الناس وتفتش عن عيوبهم وتتحدث عن نقائصهم وتشيع عنهم الأخبار السيئة والتى تضر بسمعتهم ولا تبالى إذا تسبب ذلك فى الأضرار بصديق أو قريب وتستمتع بالفضائح وخراب البيوت وتتلذذ بالضيق الذى ينزل بالناس .

إن روح الشر تسيطر بشدة على هذه الشخصية . وسعيها من أجل جذب الأنظار وشد الانتباه وتعليق القلوب يصل إلى حد أنها

تحاول أن تثير الآخرين بأنوثتها والايقاع بهم فى حبائلها وتحريك شهيتهم الجنسية .. وتلمح باهتمام خاص ورغبة فى علاقة خاصة ، وقد تظهر حبا وهياما ولوعة . ويقع المسكين فى حبائلها . ويتصور أنه المحظوظ المختص بحبها واهتمامها . ويفعل أى شىء من أجل إرضائها . يبذل الغالى والنفيس . وحين يقترب أكثر وأكثر ، وحين يسقط داخل دائرة سيطرتها ينقلب الحال ، ويعانى من صدها وهجرها وإهمالها وبرودها ويحترق بنار تجاهلها .

والغريب فى الأمر انه مع هذا السلوك الجنسى الفاضح المبالغ فيه فإنها تعانى من البرود الجنسى . فهى لا تستجيب أثناء العلاقة الجنسية ولا تستمتع بها وربما تنفر منها . حتى إذا بالغت فى العلاقة الجنسية فهذا ليس عن رغبة وإنما لتثبت لنفسها انها مرغوبة جنسيا ولتثبت للطرف الآخر انها شهية جنسيا .

الشخصية الهستيرية لديها عقد ومشاكل جنسية . انها غير واثقة من قدراتها كأنثى ، ولهذا فهى تغير الى حد الموت من أى أنثى أخرى ، ويحترق قلبها إذا استطاعت أى أنثى أخرى أن تسلبها اهتمام رجل .

وإذا انكشفت حماقاتها (وهى الحماقة بعينها) أو إذا تعرضت لضغوط أو هجوم أو إذا أهملها وتجاهلها من حولها ، فإنها تهدد بالانتحار . والتهديد بالانتحار هو لعبتها المفضلة ووسيلتها فى استمرار تحكمها فى الآخرين وسيطرتها عليهم ، وهى لعبة مكشوفة لمن يعرفونها عن قرب لأنها تكررها فى كل مناسبة وتقدم عليها فعلا ولكن بوسائل لا تفضى الى موت حقيقى .

ولابد من القيام بمظاهرة مسرحية قبل محاولة الانتحار فتصرخ وتجرى ناحية الشباك أو تندفع محاولة اشعال النيران فى نفسها

أو تحدث جروحا برسغها أو تكتب خطابا تضعه فى مكان ظاهر قبل المحاولة بوقت كاف أو تبتلع بضعة أقراص من الاسبرين أو الفيتامينات . أى لابد أن تقول لمن حولها انها ستنتحر . وتضع شروطا لكى تقلع عن المحاولة ، أى انها تساوم . وهذا أمر مؤلم ومزعج لمن حولها . أمر يضعهم فى صراع بين ضيقهم منها وحرصهم عليها إذا كانت ابنتهم أو شقيقتهم .

وهى حادة المزاج . تنفجر غضبا لأسباب تافهة واهية وبلا معقولية . وتتفوه بأقذع الألفاظ وتندفع فى معاداتها وعنادها . تصرخ وتشد شعرها وتمزق ملابسها وتقذف بأى شىء ثمين أمامها وتحطمه . وطلباتها لا تنتهى ولا شىء يرضيها . وقابليتها للايحاء سريعة وشديدة . من السهل الايحاء لها بشىء ، ولكن هذا التأثير مؤقت وسرعان ما يزول .

إن شخصيتها قابلة للتفكك .. ومن السهل أن تصاب بأعراض جسدية تحت تأثير الايحاء . ومن فرط حبها لذاتها فإنها تصاب بأعراض جسدية فعلا ، كالصداع والآلام .

ومع الضغط الاجتماعى أو الأسرى الشديد وتضييق الخناق عليها فإنها تصاب بالتفكك الكامل وتنتابها أعراض مرض الهستيريا ، فتصاب بالاغماء أو التشنج أو فقدان مؤقت لوظيفة احدى الحواس كالسمع أو البصر أو تصاب بشلل مؤقت فى أحد أطرافها أو قد تفقد النطق . وكلها أعراض مؤقتة سرعان ما تزول تحت تأثير الايحاء أيضا .

● ● ●

هذه هى الشخصية الهستيرية .. جمال خارجى وقبح داخلى ، عاطفة على السطح وخواء بالداخل ، حماس بالظاهر وفتور

بالباطن ، جنس طاغ بالعيون وموت وفتور بالأحشاء .. مودة بادية وغدر مختبىء .. هى عذاب لكل من يقترب منها .

● ● ●

الشخصية الهستيرية حياتها الزوجية فاشلة بكل تأكيد ..

٤ - الشخصية السيكوباتية :

هو الشر على الأرض . هو الشيطان فى صورة إنسان . هو التجسيد لكل المعانى السيئة والقيم الهابطة . هو الحقد والأنانية والانتهازية والعدوانية والكراهية والايذاء . هو الجانب الأسود للحياة على الأرض .. إنه مجهض لكل المعانى الجميلة والجوانب المضيئة للانسانية . وهو رائد وراعى الظلم ومهندس الخيانة وحامى الرذيلة والمبشر بالنذالة فى كل وقت .

وقد يكون جميل المنظر بهى الطلعة سمح الوجه برىء الهيئة ولكن كل ذلك تغطية لقلبه الأسود ونفسه التى تشيع ظلاما . فهو إذا كان ذكيا فإنه سوف يجيد تخبئة كل سماته الفاسدة المفسدة ليتمادى فى الخداع والخديعة والايذاء .

وقد يظل الكثيرون منخدعين مضللين يرونه الشهم الأمين العادل المنصف المحسن الودود الحليم . قد يفلح فى لبس القناع وإحكامه كأبرع ممثل ويعيش فى وسط الناس هاديا ورائدا ومعلما وناصحا ومبشرا بالخير والنور .

إن السيكوباتى العدوانى الأقل ذكاء ينكشف أمره بسهولة . يتحاشاه الناس أو يخشونه ويرهبونه أو يقاتلونه . أما السيكوباتى الذكى (ويُعرف أيضا بالسيكوباتى المبدع) فهو الأخطر لأن شروره تستشرى دون أن يدرى به أحد ، أو يكون من الذكاء بحيث يخضع الناس له بسلطانه أو بماله أو بالتحكم فى أرزاقهم ومستقبلهم أو بابتزازهم .

ولا أصدقاء دائمون له .. هناك أصدقاء لكل مرحلة ، وحين ينكشف أمره بين أصدقائه ينتقل الى مجموعة أخرى . يكوّن شلة أخرى . وحين تنتهى مصلحته مع مجموعة ، سرعان ما يهملها وينتقل الى مجموعة أخرى ترتبط مصالحه بهم فى هذه المرحلة وهكذا .

لا قلب ولا عواطف ولا مشاعر ولا أحاسيس . لا شىء بالمرة . وإنما ملذاته وأهواؤه ورغباته وأطماعه وشهواته هى التى تقوده وتحركه . وكلها شهوات مادية حسية تسلطية ، لا يضحى من أجل أحد ، وإذا أظهر تأثرا فهو تأثر كاذب ، انه كالممثل تماما الذى يظهر تعبيرات الحزن والألم على وجهه ولكنه لا يشعر شيئا بداخله .

يخون أصدق صديق ، يتسلق فوق كتف أقرب قريب ، يدوس على عنق أعز عزيز . المهم أن يصل الى هدفه .. أن يعلو .. أن يحقق طموحاته ، ينسى من ساعدوه ، بل يتحاشاهم ويهرب منهم ويتنكر لهم حتى لا يشعر انه مدين لأحد .

وهو يكذب دائما ، ولقد تمرس فى أن يبدو صادقا وهو يمعن فى الكذب . ويحلف بأقدس يمين وهو كاذب ، ولا يتورع عن أن يكذب فى أخطر الأمور وأمام أى إنسان وأى مجتمع ، يكذب ليخادع أو ليدارى خطأ أو يحقق مأربا أو يهرب من مسئولية . والسيكوباتى المبدع هو الذى يجيد فن الاقناع بالرغم من كذبه ويعكس وجهه فعلا الصدق ولا يتعثر لسانه .

والسلوك الجنسى مضطرب عند السيكوباتى فهو متعدد العلاقات الجنسية غير الشرعية ، وهى علاقات قائمة على الرغبة البحتة دون وجود مشاعر . وهو لا يستطيع ولا يصبر على علاقة واحدة .

والسيكوباتى صاحب أسرة فاشلة . فهو زوج فاشل وأب فاشل

(أو أم فاشلة) ولا يتحمل أدنى قدر من مسئولياته كزوج وكأب أو كأم .

● ● ●

صعوبة التكيف مع الشخصيات الصعبة

●● أسهبنا فى وصف هذه الشخصيات المضطربة لأنها أحد الأسباب الهامة لعدم التكيف الزواجى ، أحد الأسباب الهامة للفشل والتعاسة والطلاق .

قد يكون الزواج فاشلا ولكنه يستمر ، ولكنه يكون زواجا تعسا يعانى فيه أحد الطرفين أو يعانى الطرفان معا .

والشخصية المضطربة تتسبب فى خلق صراعات عنيفة حادة ومستمرة ، وصاحب الشخصية المضطربة هو الطرف الجانى ولكن بدون أن يعرف . بدون أن يقصد . فهذه هى شخصيته ، ولد وعاش بها ، والطرف الآخر هو الضحية ولكن بدون أن يدرى أيضا . فهو لا يدرى سببا لهذه الصراعات الحادة والمرة والمستمرة .

المشكلة ان صاحب الشخصية المضطربة لا تبدو عليه أى علامات أو مظاهر أو أعراض غير طبيعية . ولا تكون فترة الخطوبة كافية لأن يكتشف أحدهما الآخر بدقة ، غير كافية للتغلغل فى الأعماق وفهم مفاتيح الشخصية .. وهذه هى خطورة الزواج السريع ، الزواج بدون معرفة كافية ، الزواج بدون اقتراب نفسى ، الزواج بدون حب ، الزواج بدون معرفة قلبية .. الزواج بدون فهم وتفاهم وارتياح .

ويجتهد كل طرف أثناء الخطوبة وربما فى الأيام الأولى من الزواج أن يبدو كما يحب أن يريده الطرف الآخر أن يكون ، ولا شك انه سيجتهد أن يزوق نفسه ، وكل هذه اجتهادات لا تتناول

إلا القشرة ، القشرة اللامعة الزائفة . ولكن لا يستطيع الانسان أن يستمر طويلا فى لعب هذا الدور ، ان المسرحية تنتهى بانتهاء الخطوبة وبعد أيام قليلة من بداية الزواج ، ثم يبدو الانسان على حقيقته ، كما هو لا كما يحبه الطرف الآخر أن يكون . لا يجد نفسه مضطرا لارتداء القناع ، لا يجد نفسه مضطرا لأن يجهد نفسه لارضاء الطرف الآخر .

وتدريجيا تنكشف الحقيقة ، ولابد من مواقف حية فعلية تتبدى فيها سمات الشخصية ، فالسمة لا تظهر إلا من خلال موقف حقيقى ، موقف على مسرح الحياة وليس مسرح الممثلين .

وأهم أربع شخصيات تؤدى الى اضطراب شديد فى التكيف هى الشخصية النرجسية والشخصية الاضطهادية والشخصية الهستيرية والشخصية السيكوباتية .

●● **النرجسى** : ليس لديه مساحة حب للآخر .

●● **والبارنويد** : شديد الحساسية مما يستحيل أن يتعايش معه الانسان وهو على طبيعته .

●● **والهستيرى** : إنسان زائف .

●● **والسيكوباتى** : إنسان يملأه الشر ويجسد كل القيم الهابطة .

حقيقة أن هناك شخصيات أخرى بها سمات متطرفة وصعبة وتشكل عيوبا بارزة فى الشخصية تجعل التعامل معها تكتنفه صعوبات كثيرة ولكن الحياة معها ممكنة . فهى شخصيات قادرة على الحب والعطاء ويملأها الخير .. وهذه هى المقومات الأساسية لعلاقة إنسان بإنسان ، هذه هى المقومات الجوهرية لاقامة صرح الزواج واستمراره .

●● استمرار الحياة غير ممكن إلا مع إنسان قادر على الحب .

●● استمرار الحياة غير ممكن إلا مع إنسان قادر على العطاء .

●● استمرار الحياة غير ممكن إلا مع إنسان يملؤه الخير .

● الشخصية القهرية مثلا هى شخصية صعبة . فهى تتسم بالصلابة وعدم المرونة والعناد فى مواقف كثيرة . وتتسم أيضا بالحساسية ، ولكنها شخصية تتسم أيضا بالصدق والأمانة والشرف والطهارة والدقة والنظام والنظافة ، ان أبرز ما يميز هذه الشخصية الاخلاص والوفاء والقدرة على التعاطف . انها لا تقتنع بسهولة ، تأخذ وقتا طويلا وتتردد ، ولكن إذا وصلت الى قرار فإنها لا تحيد عنه .

هذه الشخصية تسبب بعض الصعوبات فى التعامل اليومى المستمر وخاصة فى نطاق الحياة الزوجية ، ولكنها صعوبات من الممكن تحملها . ليس هذا فقط بل يمكن التكيف معها .. وهذا هو المعنى الحقيقى للتكيف ، التكيف هو الاقتراب ، التفهم ، التقدير ، التنازل ، التقبل ، التعود ، الامتزاج والانصهار التدريجى .

●● التكيف هو الاحساس بالآخر وتفهمه وتقبله .

●● التكيف هو تضاؤل الصراع الى أدنى حد .

●● التكيف هو تحقيق أكثر درجات الاقتراب .

●● التكيف هو الرضا ، ليس الرضا عن تسليم واستسلام ولكنه الرضا عن قناعة واقتناع ، الرضا عن حب .

● وكذلك الشخصية الانطوائية قد تتسبب فى البداية فى بعض الصعوبات والصراعات وعدم التكيف . ولكن تدريجيا يحدث التكيف بمعناه الايجابى الجميل والودود .

الشخصية الانطوائية تميل الى العزلة ، تجد صعوبة فى الاختلاط بالناس ، غير اجتماعية ، وأيضا عاجزة عن التعبير عن مشاعرها وعواطفها وانفعالاتها . ولكنها شخصية قادرة على الحب والعطاء

والاخلاص ، شخصية بعيدة عن الشر والعدوان ، وهى قد تتغير تدريجيا ولكن هذا يحتاج لوقت طويل ، والحياة معها عن قرب وفى إطار الزواج ممكنة بحد أدنى من الصعوبات والصراعات ، فهى شخصية مسالمة لا تقوى على العداوة المستمرة والتشاجر والتشاحن .

● والشخصية الانبساطية هى عكس الشخصية الانطوائية . وهى شخصية تميل الى الاختلاط وحب الناس والتفاعل المستمر معهم .. تسيطر عليها روح البساطة والمرح والتسامح والدعابة ، وهى أيضا شخصية قادرة على الحب والعطاء والمودة . شخصية ليست عدوانية بل تسيطر عليها نزعات الخير ، وبالتالى فالحياة معها ممكنة والتكيف معها سهل وسريع ، وقدراتها هى ذاتها على التكيف فائقة ، قد تتسبب فى بعض الصعوبات فى البداية وخاصة إذا كان الطرف الآخر يميل الى التحفظ أو إذا كان صاحب شخصية انطوائية ولكن سرعان ما يحدث التكيف لأن الأساسيات موجودة وهى القدرة على الحب والعطاء والخير .

●● والصعوبات والصراعات تنشأ لوجود اختلافات واضحة فى سمات الشخصية .. وخاصة إذا كانت هذه السمات واضحة ومؤكدة وبارزة وتشكل الأساس فى السلوك وفى أسلوب الحياة . ولكنها أبدا لا تتسبب فى نزاعات مريرة وصراعات دامية ومستمرة ولا تتسبب فى تباعد نفسى .. وأبدا لا تكون سببا فى انفصال وطلاق .

●● بل من الصحى ومن الطبيعى بل ومطلوب أن يكون هناك اختلافات وتباين ، ليس مطلوبا أن يكون هناك تشابه وتطابق .

فالزواج أن يلتقى الانسان بنصفه المكمل ، وهذا النصف ليس من الضرورى أن يكون متطابقا ومتشابها ، بل مطلوب أن يكون

مختلفا لكى يكون مكملا . وهو ليس تكميلا كميا بمعنى اضافة نصف الى نصف ليصبحا واحدا صحيحا . بل هو مكملا باختلافه .

لو كان متطابقا لما أصبح مكملا ولما أصبح مطلوبا ومرغوبا . وهو أمر قريب الشبه من الموقف حين تلتقى البويضة بالحيوان المنوى ، فخلايا البويضة تحتوى على جينات تحمل الصفات الوراثية ، وكذلك الحيوان المنوى يحتوى على جينات تحمل صفات وراثية أخرى ، ليس من الضرورى أن تتطابق هذه الجينات بما تحمله من صفات وراثية ..

ان الطفل يرث من أمه صفات معينة ، ويرث من أبيه أو من شجرة أبيه صفات أخرى ، وبذلك يكون التنوع ، وهذا هو ما يحدث حين يلتقى رجل بامرأة ويتحابان ويتزوجان .. ان تنوع سمات شخصية كل منهما واختلافها عن شخصية الآخر يخلق ترابطا ووحدة من نوع مختلف ، نوع جديد ، ونوع مثير ، نوع مدهش .

وهكذا تصبح حياتهما بعد ذلك ، متنوعة ، متجددة ، مثيرة ، مدهشة ، لأن كلا منهما مختلف .

وفى الزواج رغم انه التصاق والتحام وذوبان وتوحد إلا ان كل طرف يحتفظ بتفرده ، بكيانه ، بشخصيته ، ان الشخصية لا تذوب ولا تنمحى عن طريق الزواج ، بل العكس ، ان الشخصية تتأكد ويزداد تفردها وتميزها عن طريق الزواج لأنها وجدت الذى يحبها ويقدرها ويعتز بها ويتفاعل معها باحترام .

وهنا تبرز ملكات هذه الشخصية وابداعها ومواهبها واضافاتها للحياة ، ان الانسان يولد مرة أخرى حين يتزوج . انه الميلاد الذى يكتمل فيه شخصيته وتتأكد سماتها وتجد الأرضية المناسبة التى تبرز عليها .

انه اختلاف فى السمات ، ولكنه تطابق فى الجوهر ، جوهر الخير .. فالشر لا يجتمع مع الخير أبدا فى علاقة زواج ، انه تطابق فى القدرة على الحب ، فالحب لا يجتمع أبدا مع الجمود الوجدانى فى علاقة زواج . انه تطابق فى الرغبة فى العطاء ، فالعطاء لا يجتمع مع الأنانية والبخل فى علاقة زواج . انه تطابق فى التواضع ، فالتواضع لا يجتمع مع النرجسية فى علاقة زواج . هذا هو تطابق الجوهر المطلوب فى علاقة الزواج .

والقدرة على معرفة الجوهر تتحقق فى علاقة الحب ، وأيضا المعرفة القلبية ، الحدس ، الالهام ، هذه قدرة خاصة اختص بها الله الانسان ، وهى القدرة على الاحساس بإنسان آخر معرفة جوهره والنفاذ الى داخله .

وحين يتم التعرف على الجوهر يحدث القبول ، أى الطمأنينة والأمان والرغبة فى الحياة مع هذا الانسان ، الرغبة فى التسليم له ، إذا اطلعت على الجوهر الخير لإنسان فأنت تسلم له نفسك وأنت مغمض العينين ، وتشعر بيقين انه سيكون الانسان الأوحد فى حياتك وستكون الانسان الأوحد فى حياته وستعيشان معا وان حياتكما ستكون مستقرة ثابتة ، مستمرة وخالدة ، وان لديكما القدرة على مواجهة الصعاب والمشكلات وحل الصراعات التى من الممكن أن تنشأ بينكما للاختلافات البينة فى سمات شخصية كل منكما ، وبالتالى من الممكن أن يحدث التكيف بينكما بسهولة .

الاختلاف فى سمات الشخصية مطلوب . ولكن لابد أن يكون هناك تطابق فى الجوهر .

● ● ●

ولذلك لابد أن نتوقع بعض المواجهات الحادة والساخنة فى بداية الحياة الزوجية ، لابد أن نتوقع بعض الصراعات حتى بين الذين تزوجوا بعد عشق طويل .

وهذه الصراعات سببها ان كل إنسان كان له أسلوب حياة ، لأنه فى البداية كان واحدا وهو الآن اثنان . لأنه فى البداية كانت له حياة مستقلة والآن له حياة مشتركة ، لأنه فى البداية لم يكن مسؤلا وهو الآن أصبح مسئولا ومشاركا ومتعاونا . فلكل انسان أسلوب حياة ، طريقة ، شكل ، رؤية ، فلسفة ، مفهوم ، عادات ، ميراث ، اهتمامات ، رصيد ذكريات ، آلام وأفراح .

● ● لابد أن يحدث اصطدام بين أسلوبى حياة مختلفين ، الآن نحن نعيش الواقع ، الاصطدام الذى يحدث بين العشاق هو مثل الاصطدام الذى يحدث فى الاحلام والذى لا ينتج عنه أى تأثير .

أما الاصطدام الذى يحدث بعد الزواج فهو اصطدام حقيقى . ولابد أن يُحدث أثرا ، وهو أثر مطلوب ، لأنه ينبهنا الى ضرورة التكيف ، ضرورة أن نوحد أسلوب حياتنا الى الحد الأقصى الممكن ، ضرورة أن يحدث التكيف دون الغاء للكيان والشخصية لكل طرف ، ضرورة أن يحدث الذوبان مع الاحتفاظ بالخصائص الشخصية وعدم الفناء والضياع فى ظل الوحدة الجديدة ، ضرورة أن أشعر اننى اثنان ولست واحدا .

● ● هنا تأتى أهمية تطابق الجوهر ، انه يساعد على التكيف ، جوهر الحب والعطاء والخير .. ومن يمتلك هذا الجوهر ، ومن هو واثق ان هذا هو نفس جوهر رفيقه فإنه سيكون قادرا على التكيف .. أقصى درجات التكيف .

ولهذا فالشخصيات الصعبة التى تحدثنا عنها فى البداية تفتقر الى هذا الجوهر ، ولهذا فالتكيف معها صعب ان لم يكن مستحيلا فى بعض الأحيان .

● ● ما هى الأسباب الأخرى لعدم القدرة على التكيف ؟

المرض العقلى والزواج

يتصور البعض ان المرض العقلى يسبب إعاقة كاملة للاستمرار فى حياة زوجية سعيدة ومستقرة ، ولكن هذا غير حقيقى ، وخاصة بعد وجود الامكانيات العلاجية الهائلة للسيطرة على المرض ويصبح المريض فى حالة أقرب الى الطبيعى ويستطيع أن يزاول حياته بصورة شبه طبيعية .. ومن منا كامل ؟ ومن منا طبيعى بنسبة ١٠٠ ٪ .

ليس مهما كم ونوع الاضطراب العقلى الموجود أو المتبقى ولكن المهم هو هل من الممكن أن يحدث تكيف فى وجود هذا الاضطراب ؟

بعض الأزواج قادرون على أن يكيفوا حياتهم ويسعدوا بها فى ظل وجود اضطراب أو خلل فى الصحة سواء إذا كان خللا نفسيا أو عقليا أو خللا جسديا .

المرض بشتى صوره لا يعوق استقرار واستمرار وسعادة علاقة زوجية إذا استطاع الزوجان أن يكيفيا حياتهما فى ظل وجود هذا المرض ، والأمر يختلف من حالة الى حالة ، يختلف من إنسان لإنسان حسب احتياجات هذا الانسان ومتطلباته .. وأولوياته فى حياته ، حسب مفهومه عن الزواج واحتياجاته من هذا الزواج . حسب مفهومه عن الانسان ومفهومه عن العلاقات الانسانية وما هى الاحتياجات والاشباعات التى يريدها من هذا الانسان ومن هذه العلاقة .

كل إنسان أوجده الله من حقه الحياة .. وكل انسان له قلب ووجدان من حقه الحب .. وكل انسان قادر على التفاعل الانسانى من حقه الزواج .

● ● وفى الزواج الحقيقى لا يبحث الانسان عن الأفضل ولكن يبحث عن الأحب الى قلبه والأقرب الى عقله ، فكل انسان هناك من يفضله ، فالصحيح هناك من هو أكثر منه صحة ، والشاب هناك من هو أكثر منه شبابا ، والقوى هناك من هو أكثر منه قوة ، والجميل هناك من هو أكثر منه جمالا والثرى هناك من هو أكثر منه ثراء ، وهكذا .

● ● وهكذا الى ما لا نهاية .

● ● والحب هو اختيار إرادى ، وكذلك الزواج .

ولذلك قد نعجب حين نرى انسانا متكاملا صحيا يختار انسانا آخر به عجز .. وإذا كنا نفهم معنى الحياة ومعنى الانسان ومعنى العلاقة الانسانية ومعنى الحب ومعنى الزواج فلا يجب أن نعجب . فهذا العاجز به من مواطن القوة والجمال ما ليس موجودا فى أى انسان آخر .

هكذا يراه ويشعر به ذلك الانسان الصحيح السليم صحيا الذى اختاره حبيبا وشريكا لحياته . فالحب هو اطلاع على الجوهر ، والجوهر فى الحب هو الحب والعطاء والخير .. وتلك مصادر الطمأنينة فى اختيار شريك الحياة ، وتلك مواطن الجمال الحقيقية .

● ● ●

والمرض قد يبدأ بعد الزواج وليس قبله . ومن الأمراض التى تسبب اضطرابا شديدا للحياة الزوجية مرض الغيرة المرضية والذى يصل فيه الشك الى حد اليقين بأن الخيانة الجنسية قد وقعت فعلا .

هكذا يعتقد الزوج فى زوجته أو تعتقد الزوجة فى زوجها ، والمرض

عبارة عن فكرة خاطئة ليس لها أساس من الصحة تسيطر على عقل المريض وتجعله يؤمن ايمانا راسخا بأن شريك حياته يخونه ، وشريك حياته بالقطع برىء من كل هذه الاتهامات .

هنا يتألم الشريك المتهم ولا يدرى ماذا يفعل ، والشريك المريض لا يريد أن يتزحزح عن أفكاره ويؤذى ويؤلم ويجرح شريكه المتهم البرىء .

● ● والأمر فى هذه الحالة يحتاج الى حكمة وصبر وتحمل وخاصة إذا كان هناك حب ، وعلاج مثل هذه الحالات ممكن ولكن يشترط صبر وتعاون وحب الطرف المتهم .

وقد تأتى الضلالات والأفكار الخاطئة فى صور أخرى مثل الشعور بالاضطهاد مما يجعل الحياة صعبة ومليئة بالمشاحنات وخاصة إذا كان الاتهام موجها الى شريك الحياة .

والاضطرابات الوجدانية قد تأتى فى صورة متكررة ، نوبات من الاكتئاب ، أو نوبات من الهوس ، أو تبادل الهوس مع الاكتئاب .

والاكتئاب يخيم على الحياة بجو من القتامة على الحياة الزوجية والحياة بشكل عام ، فهو الانطواء والعزلة والحزن واليأس .

أما الهوس فهو قد يسبب مشاكل أسوأ ، فالهوس هو الأرق والحركة الدائمة والنشاط الزائد والانفاق السفهى وربما التطاول والعنف .

ولحسن الحظ هذه الأمراض من الممكن التحكم فيها تحكما كاملا ، ومن الممكن الوقاية منها بحيث لا تتكرر مرة أخرى فى نسبة كبيرة من الحالات ، وتصبح الحياة بعد ذلك مع مريض الاكتئاب أو مريض الهوس ممكنة وعادية وبدون أى صعوبات .

ان الأمراض أخف وطأة من اضطرابات الشخصية ، فبعض الأمراض من الممكن شفاؤها وفى البعض الآخر من الممكن التحكم

فى الأعراض ، وكثير من المرضى حياتهم الزوجية مستمرة وموفقة .

أما الصعب والذى لا يمكن علاجه فهو اضطرابات الشخصية ، فلا علاج للشخصية السيكوباتية أو الهستيرية أو النرجسية أو الاضطهادية ، فهم ليسوا مرضى ، وهم فى نفس الوقت ليسوا طبيعيين ، وهم يجعلون الحياة صعبة فعلا . والتكيف معهم شبه مستحيل .

والمريض قد يضطر لتعاطى العلاج لفترات طويلة ، وربما طوال حياته ، وهنا يأتى دور شريك الحياة فى التعاون مع الطبيب لمساعدة المريض على الانتظام فى العلاج وخاصة إذا كان علاجا وقائيا يمنع تكرار حدوث المرض .

.. هناك أزواج رائعون وزوجات رائعات قلوبهم عامرة بالحب والخير والعطاء ، يعيشون مع زوجات وأزواج مرضى . ولكن بفضل الخير الذى يملأهم وبفضل الحب الذى يعمر قلوبهم وبفضل قدراتهم الفائقة على العطاء فإن حياتهم الزوجية مستقرة ومستمرة وسعيدة ، ربما أسعد كثيرا ممن يعيشون مع أزواج وزوجات أصحاء .

● ● ●

المرض الخفى والزواج

نحار أحيانا فى بعض الناس الذين لا يعانون من أى مرض نفسى أو عقلى أو أى اضطراب فى الشخصية ولكننا نجد صعوبة فى التعامل معهم ، أو نجد صعوبة فى تفسير سلوكهم الغريب . ويستعصى علينا فهم أسلوبهم فى التفكير وأسلوبهم فى الحياة وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين ، ويعجز أى منطق عن تحليل ما يصدر عنهم ، وتعجز أى نظرية عن الوصول الى حقيقة هؤلاء الناس .

● ● هل هم أسوياء ؟ وهل السوية تعنى فقط الخلو من المرض ؟ ام هو التنوع الطبيعى فى الحياة ووجود أشكال وألوان وأصناف متعددة من البشر مختلفين ومتنوعين ؟

وهل هو التنوع الطبيعى أم التنوع الذى يقع بدرجات مختلفة على المنحنى أو المتصل بين نقطتى السوية الكاملة والجنون الكامل ؟ وبذلك يكون هؤلاء الناس ليسوا أسوياء وليسوا مرضى . أو ليسوا مرضى بصورة ظاهرة ، أو هم الأسوياء المرضى أو المرضى الأسوياء ان صح هذا التعبير .

هم ليسوا أسوياء ، وأيضا لا توجد لديهم أى أعراض مرضية ظاهرة ، وهم بعيدون تماما عن المرضى النفسيين لأنهم غير مستبصرين أى لا يدركون غرابة سلوكهم وغرابة طريقتهم فى التفكير . لذا فالأرجح انهم يشكلون حلقة وسطى بين مضطربى الشخصية والمرضى العقليين .

أم هل هو المرض العقلى بصورة محورة ؟ هل هو الجنون الخفى أو المتوارى ؟ هل هؤلاء الناس يحملون جينات غير طبيعية مثل جينات المرض العقلى ولكن بصورة مخففة مما لم يدع للأعراض أن تظهر فى صورة واضحة ؟ ربما يكون هذا الرأى الأخير هو الرأى الأرجح لأن هذه المجموعة من الناس نصادفها من بين عائلات المرضى العقليين . نجد غرابة فى أسرة مريض الفصام أو مريض الهوس أو مريض الاكتئاب العقلى ، نشعر أنهم غير طبيعيين ولكن لا نستطيع أن نقول كيف ولماذا ؟ لا نستطيع أن نمسك عليهم شيئا . لا نستطيع أن نشير الى عرض بعينه ، لا نستطيع اطلاقا أن ندينهم بأنهم مرضى .

علاقاتهم ببعضهم البعض غير طبيعية وأيضا علاقتهم بالمريض وعلاقتهم بالحياة وبالناس .

● فمثلا هذا الانسان لا يبدو عليه أى مظاهر للمرض باستعراض جزء من حياته أو بمعايشته أو مراقبته فى مرحلة ما ، ولكن به نقص شديد فى درجة الاستجابة الوجدانية يتبدى فى عدم اهتمامه بمصيبة أصابت شقيقه مثلا أو كارثة ألمت بجاره أو حادثة مؤلمة تعرضت لها زوجته ، نجد فى مثل هذه المواقف الصعبة استجابة محدودة ولا تنم عن أى تعاطف أو حزن أو استعداد مخلص للعطاء ويبدو الأمر وكأنه لا يعنيه كثيرا .

وهناك أسرة بأكملها أو عائلة كبيرة بمعظم أفرادها لديها هذا التجمد فى العواطف . ومن الصعب طبعا أن نقول ان أفراد هذه الأسرة أو هذه العائلة الكبيرة مرضى .

وإذا تابعت علاقات هذه الأسرة انزعجت لهذه البرودة القاسية التى تميز علاقاتهم بعضهم ببعض وكأنه لا تربطهم ببعض أى صلات ، وكل منصرف الى حاله الخاص وكأنهم الغرباء فى مكان واحد يجمعهم بأجسادهم فقط .

● والتراشق بالسباب والذى يحمل فى بعض الأحيان معانى جنسية منتشر بين بعض الأسر ، قد يكون هذا متوقعا لدى مستويات اجتماعية معينة ولكنه يكون أمرا غريبا إذا كانت أسرة تتمتع بمستوى اجتماعى ثقافى متميز .

● والأفكار الغريبة التى تقترب من الضلالات المرضية قد تسيطر ليس على شخص واحد من أفراد الأسرة بل على معظمهم ، فيتخذون موقفا خاصا من الآخرين مبنى على الشك وعدم الثقة وافتراض سوء النية والتوقع السيىء . وينغلقون على أنفسهم ، يقطعون معظم صلاتهم بالعالم الخارجى .

● وبعض الأفكار والمفاهيم السائدة فى مستوى اجتماعى معين قد تطبع أفكار أسرة كاملة ذات مستوى اجتماعى متميز ، فيؤمن

مثلا جميع أفراد الأسرة بأن الأشباح تزور مسكنهم أو ان الجن له تأثير مباشر عليهم ويتدخل فى حياتهم . أو انهم يقعون تحت تأثير السحر بفعل أعداء الأسرة ، وإذا كان ذلك يمكن ارجاعه لعوامل اجتماعية فإن القلق الزائد (الموروث) قد يكون سمة واضحة لدى أسرة بأكملها حيث تصبح حياتهم جميعا مشحونة بالتوتر والخوف والهواجس والوساوس والمبالغة والحساسية الزائدة .

● وقد تصادف أسرة جميع بناتها لم يتزوجن رغم توافر كل الامكانيات والظروف التى تتيح الزواج الطبيعى . وقد تصادف أسرة جميع أبنائها يواجهون صعوبات فى حياتهم الزوجية وإذا سألت زوجات هؤلاء الأبناء وجدت ان شكواهن تكاد تكون واحدة أو متشابهة .

● وقد تجد الغرور الزائد أو البخل أو النرجسية منتشرة بين أكثر من فرد من أفراد الأسرة الواحدة ، وأيضا السلوك العدوانى العدائى قد يكون سمة أسرية وليس على مستوى فرد واحد فقط .

ومن ملاحظة بعض الناس على مدى طويل والذين يتميزون بالغرور والتعالى والتعامل بأسلوب غير لائق مع الآخرين نجد ان بعضهم يقع فريسة المرض العقلى ، وكأن الغرور أو العدوانية كانت تخفى المرض العقلى ، أو كانت هى بعض مظاهره المبكرة .

ان بعض الناس الذين يتسمون بالغرابة وتشعر معهم بعدم الارتياح وخاصة فى جمودهم الوجدانى وعدم القدرة على الاقتراب منهم أو فى تعاليهم أو فى عزلتهم ، هؤلا الناس يصاب بعضهم بالمرض العقلى عند التعرض لضغوط معينة أو فى مرحلة معينة من العمر .

● وأحد أوجه الغرابة عند بعض الناس هو سيطرة فكرة ومشاعر الانتقام بصورة بشعة إذا شعر بإحباط أو تعرض لفشل ،

وقد يكون هو المسئول عن هذا الفشل ولكنه يتصور ان الآخرين يجب أن يدفعوا الثمن . ان الانتقام بقسوة يعنى خللا خطيرا فى الشخصية أو العقل أو ان هناك مرضا خفيا أو مرضا على وشك الظهور .

● واتخاذ القرارات المفاجئة غير المتوقعة والغريبة قد تكون مؤشرا لاضطراب خفى كالطلاق أو الزواج أو الهجرة أو تغيير طبيعة العمل أو شراء أو بيع ، أو مقاطعة صديق أوحبيب أو زوج لأسباب غير واضحة تماما .

قرار يجد الآخرون صعوبة فى فهم أسبابه ودوافعه ، وفى الغالب يكون قرارا خاطئا أو ظالما يتسبب فى مشاكل خطيرة تعود على صاحب القرار وعلى القريبين منه على حد سواء .

● وعموما فإن الذين لديهم الاستعداد للمرض العقلى يميلون الى الارتباط بالأفكار الغريبة والشاذة والغامضة ، ويكون لديهم قدر كبير من التعالى والعدوانية والتحفز والحساسية والشعور بالاضطهاد أو الثقة الزائدة بالنفس والتى تخفى وراءها بناء نفسيا مخلخلا .

إننا نشعر بمسافة سحيقة تفصلنا عنهم فهم الغرباء ، أو نحن الغرباء ، ليسوا منفصلين عن الواقع مثل المرضى ولكنهم غير أسوياء .. يتسببون فى تعاسة وشقاء للقريبين منهم ولكن لا أحد يستطيع دفعهم للعلاج لأن الطب النفسى ذاته مازال عاجزا عن تفسير هذه الحالات التى لا تعانى مرضا بأعراض محددة ولكنها تسلك أحيانا أو فى كل الوقت طريقة أشد غرابة وشذوذا من سلوك المرضى ، انهم إناس لديهم ثقوب فى العقل ولكنها مسدودة بقش .

● ● ●

لماذا يستمرون رغم المعاناة ؟!

ولولا ازواج وزوجات أوفياء وطيبون لما استمرت حياة زوجية لهؤلاء الذين يعانون من مثل هذه الاضطرابات ، فالحياة الزوجية قد تستمر بفضل طرف واحد يتحمل العبء كله . يتحمل الألم ، يتحمل عدم الاشباع ، يتحمل غرابة وشذوذ الطرف الآخر ، ولكنها بكل قطع تكون حياة زوجية غير سعيدة ، أو تكون سعادة واهية متقطعة متكسرة قليلة شحيحة مثل شمس القطب الجليدى .

ولكن لماذا يتحمل طرف واحد كل هذه الأعباء ؟ والأسباب كثيرة ومتعددة .

● السبب الأول والأغرب هو ان هناك إناس لا يتصورون الطلاق ، لا يتصورون الابتعاد والانفصال عن شخص عاشروه وعاشوا معه مهما كان هذا الشخص سيئا ، فالحياة معه بمساوئه افضل من حياة الطلاق ، فكرة الطلاق أساسا مرفوضة وهؤلاء الناس لديهم بناء نفسى خاص ، فهم إذا اعتادوا على شىء لا يستطيعون الانفصال عنه .

ان لديهم مخاوف الانفصال ، الانفصال عما اعتادوا عليهم يفزعهم ، وخاصة إذا اعتادوا على انسان معين ، حتى السوء يعتادون عليه ولا يتصورون الحياة بدونه ، وسنجد أن هناك عائلات لا توجد بها حالة طلاق واحدة مهما تتبعنا شجرة العائلة لأبعد فروعها .

وعلى النقيض سنجد عائلات أخرى تكثر فيها حالات الطلاق ، الطلاق لديها أمر سهل ومقدور عليه نفسيا .

إذن الطلاق يحتاج لقدرة نفسية خاصة . يحتاج لبناء نفسى خاص ، الطلاق يحتاج الى استقلالية نفسية ، يحتاج الى قدرة على

الاستغناء بسهولة وبدون ألم شديد عن إنسان عاشرناه طالما ان الحياة معه صعبة . يحتاج الى انسان قوى من الداخل ، عملى ، موضوعى ، يحتاج الى انسان ليس لديه الاستعداد لأن يتحمل آلاما لا مبرر بها .

أما الخوف من الطلاق فأساسه الاعتمادية النفسية وعدم القدرة على التغيير أو الخوف الذى يصل الى حد الذعر من فكرة التغيير والحياة من جديد مع انسان جديد .

هناك إناس لا يتصورون استبدال زوج بـزوج . إنهم لا يتصورون الحياة إلا مع زوج واحد . وهناك إناس أيضا لا يتصورون الحياة بدون رفيق حتى وان كان هذا الرفيق سيئا ، لا يتصورون حياة الطلاق وحياة الوحدة . فالرفيق السيىء خير من الوحدة ، هذا هو منطقهم أو بالأصح هذه هى قدراتهم النفسية .

ولذلك فمهما كان الطرف الآخر مزعجا مؤلما معذبا غريبا فإنهم يتحملون ويتحملون ، ويستمرون ، وتستمر حياة زوجية غريبة وصعبة .

● كما ان هناك رجلا لا يقبل أن يحمل لقب مطلق ، هناك امرأة لا ترضى أن تحمل لقب مطلقة ، وهذا هو السبب الثانى للاستمرار رغم المعاناة ، وكأن الطلاق عار وفضيحة أو هكذا يرى بعض الناس الطلاق ، يرونه شيئا فظيعا وان الانسان الطبيعى يجب أن يبقى بعيدا ما أمكنه عن الطلاق وأن يتحمل أى شىء فى الحياة إلا أن يُطلق . والحياة مهما كانت معذبة ومؤلمة مع شخص ما فإنها تكون أفضل من أن يصبح الانسان مطلقا .

● والسبب الثالث للاستمرار ليس مستبعدا ولا غريبا . فقد يكون هناك حب ، ولأن الحب نفسه أمره غريب ، سر من الأسرار ، فنحن لا نستطيع أن نعرف على وجه التحديد سر الارتباط والتشبث

بإنسان غريب أو متعب والتعلق به وعدم القدرة على الابتعاد عنه بل والمعاناة فى الابتعاد عنه رغم الألم فى ظل الحياة معه .

والحب هو الارتباط من الداخل ، الاطلاع على كل خبايا النفس والشخصية ، وقد تكون هناك عيوب واضحة ولكن رفيقه وشريكه يرى أشياء أخرى ، يرى الايجابيات فى هذه النفس ، يرى ويعرف امكاناتها الحقيقية ، وقد تكون إمكانات مستقبلية ، يرى ان هناك فرصة أمام هذا الانسان ليكون أفضل .

أن الانسان حين يحب يتعلق بشىء ما . بقيمة ما ، شىء يراه هو وحده فى الطرف الآخر ، وهو يحبه فى الماضى وفى المستقبل حتى وان كان الحاضر متعبا مزعجا ليس به خير .. وهو حين أحبه فى الماضى فربما كانت الصورة مختلفة ، كانت الصورة ايجابية وطيبة وبعد ذلك حدث تغيير .

والتغيير ربما بسبب مرض أو ظروف قهرية ، ولكنه (أى الطرف الذى يتحمل) مازال يحتفظ بصورة رفيقه فى الماضى ، انه أحب هذه الصورة وعاش معها زمنا ، حقيقة ان هناك تغييرا كاملا الآن . ولكنه مازال يعشق الصورة القديمة ، مازال يعشق صاحبها ، ولا يستطيع أن يتخلى عنه ، وربما يكون لديه أمل فى أن تغييرا ايجابيا سيحدث فى المستقبل ، ولذلك تستمر الحياة ، حياة بين طرف متعب شاذ غريب مؤلم جارح ، وطرف أخر يتحمل لأنه يحب .

● وسبب رابع للاستمرار ربما يكون مرتبطا الى حد ما بالسبب الثالث وهو أن هذه الحياة الصعبة المتعبة المؤلمة وبرغم صعوبتها وتعبها وآلامها إلا انها فى جوانب أخرى تحقق اشباعات معينة ، فهذا الطرف السيىء قادر على أن يلبى احتياجات معينة ، احتياجات هامة ، احتياجات أساسية ، احتياجات حيوية على وجه

الخصوص بالنسبة للطرف الآخر المفترض انه الطرف الضحية أو الطرف الذى يتحمل ، فلكل إنسان ما احتياجات معينة يتم ترتيبها حسب الحاحها وأهميتها وحيويتها بالنسبة له وليس حسب ضروريتها وأهميتها العامة بالنسبة لبقية الناس ، فإذا تم تلبية الاحتياج رقم (١) فإن عدم تلبية بقية الاحتياجات أو التلبية الجزئية لها لا يشكل مشكلة كبيرة لصاحبها ولا تشكل مانعا أو عائقا لاستمرار الحياة ، المهم أن يتحقق الاشباع الكامل للرغبة أو الاحتياج رقم (١)

إذا نجح الطرف المتعب المزعج الشاذ الغريب فى تلبية الاحتياج رقم (١) الى حد الاشباع الكامل لدى الطرف الآخر فإن هذا الطرف الآخر سيضحى بعدم تلبية احتياجاته الأخرى أو التلبية الجزئية لها وسيستمر .

هذه الاحتياجات قد تكون جنسية أو مادية أو اجتماعية أو سلطوية . قد تكون احتياجات لها شكل أو مضمون مادى ولكنها تحقق ارضاء واشباعا نفسيا ، وهذا يختلف عن الذى يستمر فى الحياة لتحقيق مصلحة معينة يكون هو المعد والمخطط لها ، اننا نقصد هنا الارضاء أو الاشباع النفسى الذى يتحقق من خلال تلبية احتياج معين حتى وان كان احتياجا ماديا أو احتياجا جسديا .

● أما السبب الخامس فهو يختلف تماما عن السبب الرابع وهو ان الطرف الذى يتحمل فإنه يتحمل لأن هذا الزواج يحقق له مصلحة معينة ، مصلحة هو سعى لها وتزوج من أجلها وسيستمر فى هذا الزواج طالما انه يحقق مصلحته التى سعى وخطط لها . وفى الغالب تكون المصلحة مادية بحتة. مصلحة اقتصادية، ولكنه ليس الاقتصاد الذى يكفل الحد الأدنى من المعيشة ، ولكنه اقتصاد الثراء والطموح المادى غير المحدود، والذى ربما يكون مرتبطا ايضا

بالسلطة أو الطموح الاجتماعى والانتقال الى طبقة اجتماعية أعلى ، إذا توقف الطرف المتعب عن تحقيق هذه المصلحة فإن الطرف الذى يبدو وكأنه الطرف الذى يتحمل المعاناة ينسحب من هذه الحياة ، ويكون من السهل عليه حينئذ أن يطلب الطلاق ويغادر حيث تكون مصلحته فى مكان آخر مع إنسان آخر .

● السبب السادس للاستمرار هو ان هذا الطرف الذى يبدو وكأنه طرف مضح وانه يتحمل حياة مؤلمة صعبة مع شريك مزعج فإنه هو ذاته يستعذب هذا الألم . أى انه يعانى من المازوخية ، وهى حالة نفسية أو ربما هى نمط من الشخصيات الذى يستعذب الألم ، يعشق المهانة ، يزعجه الاحترام ، ترضيه الحياة المضطربة المقلقة غير المستقرة ، يشبعه الذل والاحتقار وسوء المعاملة والنبذ والاهمال .

ان كل هذا يستثيره ، يحركه ، يبعث فى نفسه وربما فى جسده النشوة واللذة ، فإذا جعلناه يعيش حياة محترمة كريمة مستقرة هادئة فإنه يمل ويسأم ويضجر وينفر ويهرب .

إذن هذه الحياة الصعبة المؤلمة ترضيه وتشبعه . والغريب انه يشكو ويرفع صوته بالشكوى . ولكنها شكوى باللسان ، شكوى بعقله الواعى ، وإنما عقله الباطن يسعد وينتشى ويتلذذ بهذه الحياة .

الطرف المازوخى يستمر فى حياة زوجية كلها آلام وتعاسة وعذاب . ان هذا يرضيه نفسيا وجسديا .

● السبب السابع للاستمرار قد يكون خفيا على المستوى اللاشعورى بالنسبة للطرف المضحى والذى يبدو من على السطح انه الطرف الذى يتحمل تلك الحياة الصعبة مع هذا الانسان السيىء الغريب الشاذ ، هذا الطرف المضحى فى أعماقه أو فى عقله

الباطن يدرك انه لن ينجح أيضا مع أى انسان آخر إذا تبدلت الظروف الى الأفضل والأحسن .

إنه يدرك بحسه الباطن انه هو أيضا انسان غريب وشاذ ومختلف ، وانه هو ذاته انسان صعب ، إذن فطالما ان الحياة مستمرة مع هذا الانسان المتعب فلتستمر لأنها لن تكون أفضل مع انسان آخر . ان كل واحد منهما على حدة لا يصلح لحياة زوجية ناجحة ، إذن يكفى أن هناك زواجا وأسرة وحياة مستمرة ، هذه هى فرصته ليستمر ولا داعى لتجربة جديدة لأن التجربة الجديدة حتما ستفشل ، هو غريب وهى غريبة، هو شاذ وهى شاذة ، هو لا يصلح لزواج ، وهى لا تصلح لزواج . وهذا كله موجود فى اللاشعور أى فى العقل الباطن .

● وإذا جئنا للسبب الثامن للاستمرار فإنه قريب الشبه من السبب السابع ولكنه على مستوى الشعور ، العقل الواعى ، وذلك لأن الطرف المضحى أو هكذا يبدو انه يتحمل ويضحى بحياته مع انسان سيىء هو فى ذاته انسان سيىء ، وهو يعرف عن نفسه انه سيىء وانه مزعج وانه أيضا مصدر لازعاج وآلام وجراح ، وانه لا يصلح لزواج ، ولولا ان حظه أوقعه فى انسان سيىء لما استمر الزواج ، وإذا كان قد وفق لانسان طيب لما استمر الزواج ، إذن هو زواج السيىء بالسيئة ، وزواج السيئة بالسيىء من الممكن أن يستمر مثلما يستمر زواج الطيب بالطيبة ، لأن الزواج الذى من الصعب أن يستمر هو زواج الطيب بالسيىء ، ولعل القرآن الكريم أوضح ذلك بجلاء فى معنى قوله : الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات ..

● السبب التاسع للاستمرار هو أن تكيفا فعليا يكون قد حدث . وتلك قدرة خاصة أعطاها الخالق عز وجل لبعض الناس ، قدرة

فائقة لتحمل الحياة الصعبة والتكيف عليها واحداث تغيير فعلى فى النفس والمثابرة والاستمرار فى بذل جهد ايجابى للتغيير من الطرف الآخر للأفضل وتغيير الحياة بشكل عام .

انها نفس القدرة التى يعطيها الله لبعض الكائنات للتغلب على تقلبات الطبيعة الغادرة ، ولولا هذه القدرات الخاصة لهلكت كائنات كثيرة ، ولولا هذه القدرات الخاصة لهُدمت بيوت كثيرة وخربت ..

والتكيف معناه القبول عن رضا والاعتياد والتعود والتغيير من الذات لملاءمة الواقع وأيضا وبجهد ايجابى الاستمرار فى محاولة تغيير الظروف وتغيير الواقع وتغيير الأشخاص المحيطين لتحقيق أعلى قدر ممكن من الارضاء والرضا والتوفيق .

● السبب العاشر وهو الأعم . وهو ان هناك ظروفا خاصة تدعو للاستمرار ، ظروفا اضطرارية قهرية ، أى لا مهرب ، أى هذا هو الطريق الوحيد ، القدر ، المصير ، النهاية المحتومة ، الحتمية التاريخية أو الحتمية الناشئة من ظروف خاصة جدا تدعو انسانا لأن يحتمل حياة غير محتملة فيبذل جهدا خارقا لاحتمالها ويعاونه الله على الصبر والتحمل والاستمرار .

● والسبب الحادى عشر وهو أعم الأعم وجود أولاد ، والذين يستمرون فى حياة زوجية صعبة خلوا من أى سعادة أو ارضاء فإنهم يتبنون نظرية ان الأولاد حين ينشأون فى ظل والدين يعيشان معا أفضل بكثير من حياة الأولاد مع طرف واحد بعد الطلاق حتى وان كانت الحياة الزوجية يكتنفها تعاسة وشقاء ، انهم يؤمنون بذلك ، يؤمنون بحاجة الأطفال الى بيت متكامل ، انهم أصحاب نظرية البيت المتكامل .

والبيت المتكامل هو الذى يحتوى أما وأبا يعيشان معا تحت سقف واحد حتى وإن عاش كل منهما فى حجرة منفصلة ، وحتى

وإن باعدت بينهما آلاف الأميال المعنوية حتى وان كانا لا يتبادلان كلمة واحدة حتى وان علا صوت شجارهما الى عنان السماء ، حتى وان امتلأ هواء البيت كراهية وعداوة ، المهم انهما يعيشان معا ، المهم أن يحتفظ بهما الأولاد معا ، المهم هو البيت المتكامل ، هكذا يستمر بعض الأزواج والزوجات رغم قسوة الحياة وجفوتها وجفافها .

● السبب الثانى عشر هو أن الوقت يكون قد فات . الوقت فات للانفصال ، والأهم ان الوقت قد فات لبداية حياة جديدة ، وحين تصل الزوجة لسن الأربعين فإنها تفكر ألف مرة قبل أن تسعى للطلاق ، والرجل أى الزوج حين يصل لسن الخمسين فإنه يفكر ألفى مرة قبل أن يسعى للطلاق .

بداية حياة جديدة مع ضمان حد أدنى للنجاح صعب بعد هذه السن سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل ، ولذا يستمران ، فلقد استمرا فى أهم سنوات العمر فلماذا لا يستمران لسنوات قليلة باقية من العمر ، سنوات تراجع فيها الشباب وسيتراجع أكثر وأكثر بحيث يصبح من الصعب نفسيا وجسديا البداية من جديد .

البداية الجديدة تحتاج الى قوة نفسية وتحتاج الى حد معقول من القوة الجسدية التى تسمح باستمرار زواج جديد ، والمشكلة تكمن أكثر فى امكانية وجود رفيق جديد ، أين نجده ؟ وكم يكون عمره ؟ وكيف كانت حياته السابقة ؟ ولماذا يبدأ معنا من جديد ؟ ولماذا لم يوفق هو ذاته فى حياته السابقة ؟ وما هى ضمانات نجاحنا فى حياة جديدة نبدأها فى هذه السن المتأخرة نسبيا ؟ ولماذا نبدأ من جديد ؟ ما هو الاحتياج الملح لأن تكون لنا حياة زوجية جديدة ؟

عشرات الأسئلة تلح على الخاطر وتدعو الى القلق والوسوسة والتردد ، ثم فى النهاية الاستسلام وقبول الواقع والاستمرار

فى نفس الحياة . فهذا خير من المجازفة والمخاطرة .

● السبب الثالث عشر والأخير هو أن بعض الناس يستهويهم دور الضحية ، دور الاستشهاد ، دور المجنى عليه ، دور المظلوم ، دور المغلوب على أمره ، ولهذا يستمر .

الاستعداد النفسى للطلاق

●● إذن هذه هى الشخصيات أو الأنماط أو النماذج من الرجال والنساء الذين يستمرون فى حياة زوجية فاشلة ، وفاشلة هنا بمعنى انها لا تحقق سعادة أو ارضاء لكلا الطرفين أو على الأقل لطرف منهما وهو ذلك الطرف الذى يستمر برغم معاناته .

● ● والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : وهل يجب ألا يستمر ؟ هل الأصح أن يسعى للطلاق ..؟ هل الطلاق ضرورة فى مثل هذه الأحوال ؟ وهل الاستمرار هنا له عواقبه الوخيمة بالنسبة للطرف الذى تحمل واستمر وبالنسبة للأطفال ؟

وهل كل حياة زوجية فاشلة يجب أن تنتهى الى طلاق .. أم ان الزواج أى زواج هو أبدى وخالد ، وان الطلاق يجب ألا يحدث إلا حينما يكون الموت أفضل من الاستمرار فى الحياة الزوجية ، حينما تترسخ الكراهية فى قلب كل من الزوجين ولا يمكن نزعها أو حينما تقع الخيانة من أحدهما ، وان أى أسباب أخرى لا تعد كافية لحدوث الطلاق مهما كانت مظاهر عدم التكيف .؟

والذين يتشددون فى الطلاق يبنون وجهة نظرهم على ان الآثار الناتجة عن الطلاق هى آثار وخيمة وثقيلة وتؤدى الى تعاسة تفوق كل معاناة قبل الطلاق . أى ان المعاناة فى ظل حياة زوجية ليست موفقة توفيقا كاملا أقل بكثير ومحتملة عن المعاناة بعد الطلاق .

والذين يتساهلون فى الطلاق يبنون وجهة نظرهم على ان الانسان

يعيش مرة واحدة وانه خلق ليسعد ويتمتع بالحياة ، وانه لا معنى لأن يستمر فى علاقة تسبب له ألما ومعاناة ، وانه يجب أن يسعى لكى يبدأ حياة جديدة تجلب له السعادة والارضاء ، وان عمر الانسان لا يتسع لأن يبذل جهودا للاصلاح والتكيف ، فمحاولة التكيف تتطلب وقتا وجهدا كما انها مضنية كذلك تتطلب استعدادا فى الشخصية وليس كل انسان لديه هذا الاستعداد .

ولهذا فالانسان غير السعيد فى حياته الزوجية يجب أن يقرر فورا وقبل فوات الأوان أن ينهى هذه الحياة وأن يسعى لحياة جديدة ، وأصحاب هذا الرأى ينادون دائما بتسهيل اجراءات الطلاق وان أى طرف ـ سواء الرجل أو المرأة ـ يطلب الطلاق يجب أن يُلبى طلبه فورا بدون أن يقدم مبررات مقنعة للطرف الآخر أو للناس أو للهيئة الرسمية التى تنظر فى طلب الطلاق . أى ان الانسان يجب أن يطمئن الى انه يستطيع أن يطلق فى أى وقت بنفس السهولة واليسر الذى يستطيع أن يتزوج بها .

إلا ان الأمر فى الحقيقة لا يتوقف على مدى سهولة أو صعوبة الاجراءات والقوانين بل ان الأمر مرتبط بالاستعداد النفسى ، هذا هو تقديرى الخاص ، وعلى هذا الأساس أستطيع أن أقسم البشر الى قسمين : قسم يستطيع أن يتحلل بسهولة من أى علاقة انسانية تجلب عليه المتاعب ، وقسم آخر لا يستطيع . ويتردد كثيرا فى الانفصال ، سواء إذا كان انفصالا عن زوج أو صديق أو جار أو مكان أو حتى حيوان أو جماد .

● ● النوع الأول وهو الذى يستطيع أن يتخلص بسهولة من أى انسان لا يوفر له السعادة والاشباع يتميز بأنه يفتقد امكانيات التكيف والتحمل والصبر والقدرة على بذل جهد من أجل التغيير .. كما انه لا يستطيع تحمل أى ألم . وانه يسعى دائما فى الاتجاه

الذى يحقق له السعادة الفورية والارضاء الدائم .

كما انه إنسان لا يأبه كثيرا بالماضى أو الذكريات ، ليست لديه ارتباطات بالماضى ، وذاكرته ضعيفة ، وذكرياته ليست لها تأثير على حاضره أو مستقبله ولا تتدخل فى اتخاذه أى قرار ، فهو يعنيه الحاضر ، اللحظة ، الاحساس المباشر ، ولهذا فهو يسقط الماضى فى لحظة ، ينمحى من ذاكرته تماما ، يسقط الماضى بأحداثه وبأشخاصه . له قدرة فورية على النسيان ، نسيان أى انسان مهما كانت درجة اقترابه منه ، كما انه يتميز بالقدرة على أن يبدأ من جديد ، كما انه يتميز بالحسم ، لا يتردد ، ولا يندم ، ولا يراجع نفسه ، ولا يستشير أحدا . كما انه لا يعطى قيمة لأى ثوابت فى الحياة ، لا توجد لديه أعمدة ارتكاز أساسية وثابتة فى حياته .

كما انه يتميز بقدرة أخرى هامة وهى السيطرة على وجدانه ، وهى ليست سيطرة بقدر ما ان وجدانه ذاته محدود مما يعطيه المقدرة على عدم الارتباط العميق بأى انسان ، وإنما هناك مسافة ، لا توحد ولا ذوبان ، فهو لا يريد لذاته أن تقترب بشدة من أى ذات أخرى .

هو يريد لذاته أن تكون بعيدة عن أى تأثيرات عاطفية من أى ذات انسانية أخرى ، لذلك فإن درجة تأثره قليلة ، ودرجة حزنه أخف ، حزنه دائما من على السطح ، وسريع التطاير .

● ● وهو حسى مادى أكثر ، ادراكه للمعنويات وإيمانه بالروحانيات أقل . واقعى ، وعملى ، يشده جمال الشكل ، يهتم بالخارج أكثر من اهتمامه بالداخل ، يدرك الشكل ويستعصى عليه ادراك الجوهر .

● ● كما انه يهتم بنفسه الى أقصى حد ، اهتمامه بمظهره

وصحته وراحته ، وبالتالى فإن قدراته على العطاء محدودة أو مشروطة بعطاء الآخرين . وأيضا ليس له أى استعداد للتضحية .

هذه كانت السمات النفسية للشخصية القادرة على الانفصال والطلاق بسهولة سواء إذا كانت الأسباب التى تدعو للطلاق أسبابا جوهرية أو إذا كانت أسبابا بسيطة يمكن علاجها بالصبر والجهد .

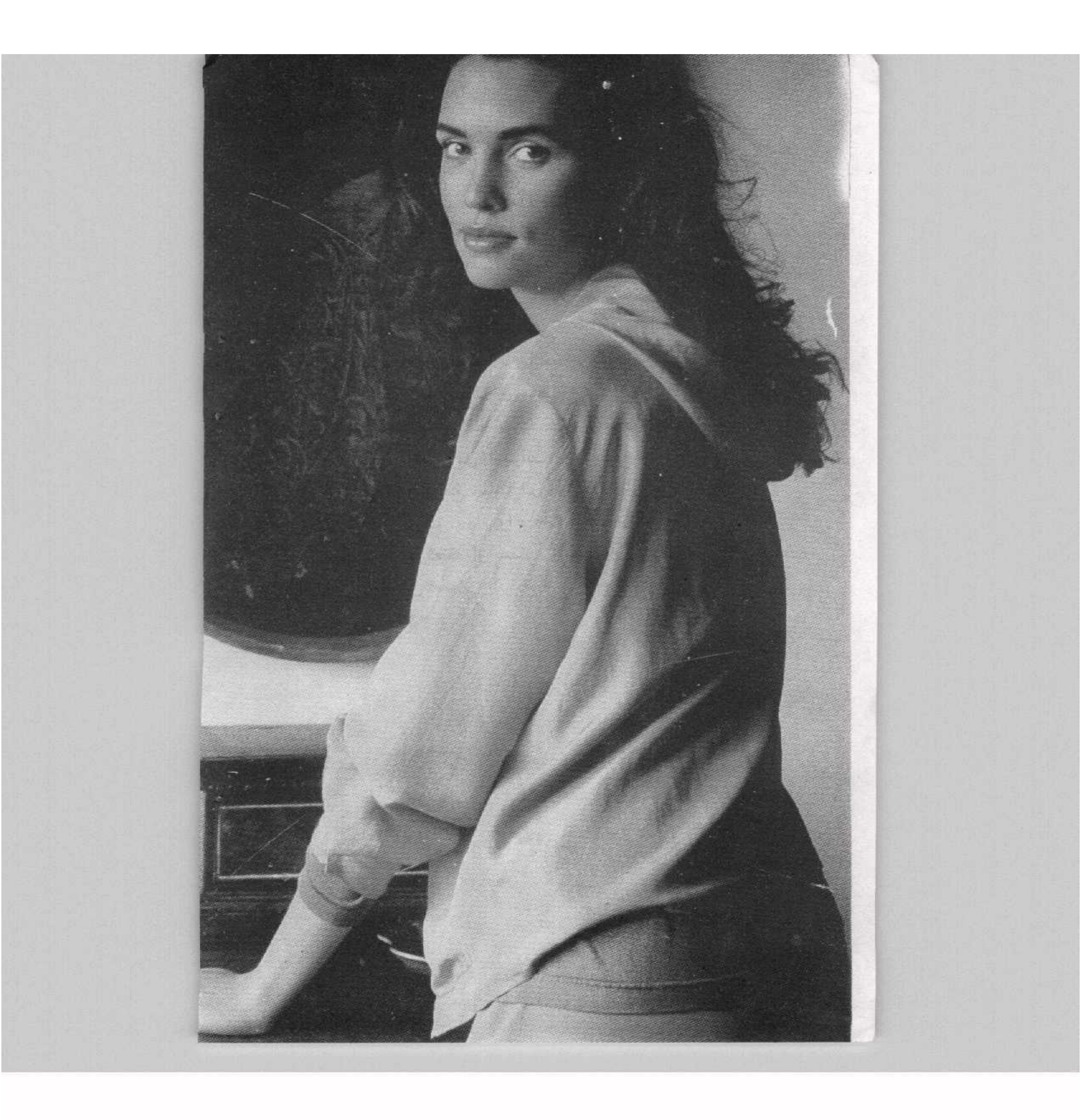
والسؤال هو من أين تجىء هذه السمات ؟ هل يكتسبها الانسان لأنه عاش كطفل مع أب وأم يتمتعان بنفس السمات .. أم أن الأمر له علاقة بالوراثة ؟..

هل يرث الانسان سمات القدرة على الانفصال . هل هناك جينات يمكن أن نطلق عليها جينات الطلاق ؟ وهل إذا وجدت هذه الجينات فهل نعتبرها جينات غير طبيعية أى جينات مرضية مثل الجينات التى تورث الأمراض . وبالتالى تكون الجينات المقابلة وهى الجينات التى تجعل الانسان يتمسك بزواجه هى الجينات الطبيعية ، وبالتالى يكون الأصل فى الزواج أن يكون خالدا ومستمرا وأن تكون للانسان المقدرة لحماية زواجه والدفاع عنه والاستمرار فيه وتحمل الأعباء والآلام التى من الممكن أن تنشأ عنه ، وأن يكون للانسان مقدرة التكيف .. التكيف على حياة قد تكون صعبة ولكن الانسان يتقبلها ويتعايش معها ويحاول أن يغيرها فى الاتجاه الايجابى .

العلماء حاولوا أن يجيبوا على هذا التساؤل ، حاولوا أن يثبتوا ان السعادة الزوجية لها علاقة بالجينات الوراثية ، فإذا حدث وانفصل زوجان بعد سنوات من الحياة الزوجية المشتركة فإن ابنتهما فى الغالب ستلقى نفس المصير فى المستقبل ، وأيضا ابنهما سيكون لديه نفس الاستعداد للانفصال عن زوجته بسهولة ، وبالتالى فإن احتمالات طلاق الزوجة تكون متزايدة عن المعدلات

الطبيعية إذا كانت والدتها أو شقيقتها التوأم قد مرت بتجربة زواج فاشلة ، وأظهرت مثل هذه الدراسات أيضا انه إذا كان التوأم متطابقين تماما (أى من بويضة واحدة) فإن احتمالات حدوث الطلاق الجينى تكون فى أقصى درجاتها ، فإذا حدث أن انفصل أحد التوأمين عن شريك حياته فإن الآخر قد يتعرض لنفس الموقف أو نفس المصير بنسبة لا تقل عن ٥٠ ٪ .

ولا أحد يعرف كيف تمارس الجينات دورها بالضبط فى التأثير على سلوك وتصرفات البشر فى موضوع مثل الطلاق . إلا انه من المؤكد ان الجينات الوراثية تساعد كثيرا فى تحديد ملامح شخصية كل منا وان العديد من الجوانب فى شخصيتنا تجعلنا أفضل أو أسوأ فى التعامل مع حياتنا الزوجية ، وبالتالى فليس هناك جين وراثى خاص بالطلاق ، فالأزواج عادة ينفصلون لسلسلة طويلة من الأسباب ، ولكننا نعتقد ان سمات الشخصية التى تؤدى للطلاق ، أو تجعل الطلاق سهلا .. ترتبط فى الغالب بالتكوين الجينى للإنسان .



ما بعد الطلاق

● ● وقع الطلاق فجأة سكن كل شيء .. صمت مطبق وخواء وفراغ . وانصرف كل منهما لحاله . ولى كل واحد للآخر ظهره . مضى فى عكس الاتجاه . حلت النهاية وأسدلت الستارة ، انتهت حكاية اثنين عاشا معا . ناما فى سرير واحد . مارسا الحب . أكلا من طبق واحد . تنفسا هواء مختلطا بأنفاس كل منهما . ضحكا . غضبا . تشاجرا تصالحا . ولاحت فى الأفق شياطين الانفصال والفرقة والغربة .. فتعطلت المشاعر الطيبة . وحلت تدريجيا مشاعر غير طيبة . مشاعر لا يحملها الانسان إلا لِندّ منافس أو عدو . تدريجيا وربما ببطء شعر كل منهما بالغربة فى وجود الآخر فتعاملا كالغرباء . ثم كالأعداء .

وتحركت فكرة الطلاق . كفكرة . ثم امتزجت الفكرة بالوجدان . فساء السلوك أكثر فأكثر . وتأكدت الفكرة وتشبع بها الوجدان . وحسم أحدهما الموقف وقرر . أو قررا معا .

● ● ووقع الطلاق .

ليس مهما الآن لماذا وقع . وهل كان من الممكن تحاشيه ؟

ليس مهما أن نسترجع الحكاية من بدايتها طالما أننا وصلنا إلى النهاية فالبداية ليست مهمة . المهم وقع الطلاق . قد يكون لأسباب حتمية . وقد يكون لأسباب عبثية . قد تكون البداية خطأ . اختيار خاطىء .. قد يكون أحدهما سيئا . وقد يكون كلاهما . قد يكون أحدهما مريضا . أو مضطرب الشخصية . أوخائنا . أو نرجسيا . أو أنانيا أو بخيلا . أو عدوانيا لا إنسانيا . أو مستهترا أحمق . أو ... أو ... المهم الآن هو أن الطلاق وقع .

فما هى الآثار المترتبة على الطلاق .

ان الانسان المطلق يمر بمراحل . وهى تقريبا نفس المراحل التى

يمر بها من فقد إنسانا عزيزا عن طريق الموت . أى حالة من الآسى بالرغم من أنه فى حالة الطلاق فان الفقد لا يكون لإنسان عزيز . بل ربما يكون لانسان كريه .

ولكن كل جبال الكراهية تتوارى تماما خلف ضباب يحجبها عن المشاعر . فيصاب الانسان بحالة من التبلد . إذ فجأة سكن كل شىء وسكت . وهاهو ذا قد رحل . فلا يوجد طرف ننازعه ونتشاجر معه . لا يوجد طرف نكرهه وجها لوجه ونعاديه . لا يوجد هدف نصوب عليه . لقد رحل واختفى . ولم يبق إلا الفراغ .

إذن بعد الطلاق مباشرة تتعطل كل المشاعر . تصاب بحالة تنميل . برود . تجمد . لا شىء . يعقبها مباشرة ربما بعد يومين أو ثلاثة أو أسبوع حالة من عدم التصديق . حالة من الانكار . وكأن الطلاق لم يقع . كيف وقع ولماذا وقع . كلا انه لم يقع . لا بل قد وقع . هل معنى هذا أن كل شىء قد انتهى !! نعم لقد انتهى كل شىء !! ألا يوجد ثمة احتمال أن هذا حلم !! لا بل هو واقع !! ألا يوجد ثمة احتمال أن يعود !! لا لن يعود . أو أنا لا أريده أن يعود . أو ربما يعود . أو ربما أتسامح أنا وأدعه يعود .

هكذا يكون حوار الانسان مع نفسه فى مرحلة الانكار وعدم التصديق بعد المرور بمرحلة الصدمة أى مرحلة التنميل .

وبعد أسبوعين أو ثلاثة يدخل الانسان فى المرحلة الثالثة وهى مرحلة الحزن . وهى أقرب إلى حالة الاكتئاب بحيث نستطيع أن نقول أن المطلق (أو المطلقة) يدخل فى حالة اكتئاب فعلى شبه مرضية . وكل الأعراض التى تصاحب هذه المرحلة تشابه أعراض الاكتئاب تماما .

إنه يشعر أنه فاشل . أنه مذنب . أنه مخطىء . أنه لم يكن يستحق نعمة الحياة الزوجية . إنه غير جدير بالزواج وغير جدير

بالانسان الذى عاش معه . يشعر أنه ليس فقط فاشلا فى الزواج ولكنه فاشل فى الحياة . إنه لم يحقق أى نجاح . وأن أى نجاح حققه ماهو إلا نجاح وهمى زائف وخادع .

تنهار تماما الثقة بالنفس . ويأسى الانسان على نفسه . يشفق عليها أحيانا ويؤنبها ويعاقبها ويسبها فى أحيان أخرى .

يضطرب النوم .

تضطرب الشهية للطعام .

يفقد الانسان قدرا كبيرا من وزنه لانسداد شهيته أو قد يأكل كثيرا فيزداد وزنه .

يفقد القدرة على الاستمتاع بأى شىء .

وقد يبكى تنهمر دموعه بسهولة .

يضعف تركيزه . ويقل أو ينعدم اقباله على عمله .

ويشعر أن كل الطرق أمامه قد سُدت .

تستغرق مرحلة الحزن شهرا . وفى خلال هذا الشهر قد يجد دعما معنويا من المحيطين به ، قد يؤكدون له أنه كان محقا فى سعيه للطلاق . وأنه سيكون أحسن حالا بعد طلاقه . وأن هذا الطلاق كان حتميا لأن الطرف الآخر كان سيئا . وأن عليه أن يفكر فى أن يبدأ حياة جديدة .

● وتدريجيا يذهب الحزن أو يذهب الاكتئاب ولكن يدخل الانسان فى المرحلة الرابعة . وهى مرحلة الغضب . وقد يتوجه بكل غضبه للمحيطين به . وقد يحملهم سبب فشله فى حياته . ولكن بالدرجة الأولى يوجه غضبه ناحية مطلقه . يراه أسوأ الناس . ويحمله مسئولية فشل الحياة الزوجية . وقد يفكر فى الانتقام منه بوسيلة أو بأخرى . ويسبه فى داخله ويسبه ويسىء اليه علنا .

وفى هذه المرحلة يكون الانسان قلقا عصبيا سهل الاستثارة

نافد الصبر .. ويصاحب ذلك باستمرار إضطراب وظائفه البيولوجية فى النوم والشهية للطعام وكذلك افتقاد كامل للرغبة الجنسية واضطراب الدورة الشهرية عند المرأة والتى قد تنقطع تماما لفترة ليست قصيرة ..

فى هذه المرحلة قد يقدم الانسان على بعض الحماقات ، فيلجأ إلى المخدرات والمسكرات أو الاندفاع فى علاقات بالجنس الآخر . أو الاقدام المفاجىء على الزواج .

انها حالة من عدم الاتزان العاطفى المصاحبة لحالة من الغضب . وقد يفكر فى الاتصال بمطلقه لمعاتبته أو لمهاجمته أو ربما يقصد من ذلك - لا شعوريا - فتح باب للحوار معه قد يؤدى إلى الرجوع اليه .

كما أنه يكثر من الحديث عن مطلقه حديثا سيئا سلبيا ولكنه فى حقيقة الأمر يعنى أنه مازال مهتما به . يعنى أنه مازال يحتل بؤرة شعوره ووعيه واهتمامه يعنى أنه فشل فى أن ينساه . إذ ليس بسهولة أن يمحو الانسان فى غضون أسابيع قليلة سنين من حياته .

وقد يتصل بمطلقه فعلا . وقد يعاود الحوار معه . وقد يأخذ الحوار طابعا هادئا . ثم وديا . وقد يتم التراجع عن الطلاق فى هذه المرحلة . وقد تسوء الأمور أكثر بينهما ويعقب ذلك القطيعة النهائية وتأكيد عدم وجود أى احتمالات للعودة على الاطلاق .

● ثم يدخل الانسان فى المرحلة الخامسة والأخيرة وفيها يتخلص من كل الأعراض المرضية الحادة . ويبدأ فى مشوار مزمن من اعتلال المزاج . حقيقة هو ليس مكتئبا . وليس حزينا . وليس قلقا . ولا غاضبا . ولكنه فقد القدرة على الاستمتاع الحقيقى بأى شىء فى الحياة . فقد القدرة على التذوق والشم واللمس . فقد القدرة على السرور العميق والبهجة الحقيقية . فقد القدرة على الاحساس

بأهمية الأشياء والأماكن والأيام . احساس غامض داخلى غير واضح بلا معنى . بلا هدف . بالضياع . باللا أهمية .

ثم يعتدل مزاجه بعض الوقت ويشعر أنه قد عاد لحالته الطبيعية ويستعيد قدرته على الاستمتاع بالحياة . ولكن سرعان ما تعاوده حالة اعتلال المزاج ، وهكذا يظل يتقلب من حالة لأخرى .

وقد تعاوده بشكل حاد ولفترات مؤقتة وقصيرة الأعراض الحادة من الاكتئاب والقلق والغضب والتى تتميز أساسا بانهيار الثقة بالنفس والاحساس بالفشل .

● وطوال هذه المراحل يشعر بالوحدة . بالسأم . بالملل . بالفراغ . قد يحاول أن يندمج مع الناس ويسترجع نشاطاته صداقاته السابقة قبل الزواج ، وقد يحيط به الصخب من كل جانب وفى كل وقت ولكنه يشعر بالوحدة . وأى مشاعر بالوحدة يصاحبها أحاسيس الخوف وقد يكون خوفا غير ظاهر . غير حاد . غير مرئى . ولذا يكون الاحساس البديل هو عدم الطمأنينة .

● ربما بعد عام أو أكثر يتخلص من هذه المشاعر السلبية المرضية . ربما يطول الأمر إلى ثلاثة أعوام . وهذا يتوقف على عدة عوامل :

— هل كان الطلاق مباغتا له أم كان متوقعا ؟

— هل هو الذى سعى إلى الطلاق أم فُرض عليه من الطرف الآخر ؟

— هل مازال يحمل مشاعر ايجابية تجاه الطرف الآخر حتى بعد طلاقه منه ؟

— هل تم الطلاق بهدوء أم كان هناك عنف ؟

— هل تمت تسوية كل الأمور بينها بعد الطلاق بما فى ذلك مشاكل الأولاد . أم أنه مازال هناك أمور معلقة ؟

— مدى الثراء فى حياته من عمل يشغله وأصدقاء يحيطون به .

— هل مازال أصدقاؤه هم الذين كان يعرفهم أثناء زواجه .. أم استطاع أن يتعرف بأصدقاء جدد ، أم عاد لاصدقائه قبل الزواج ؟

— مدى الصعوبات المادية التى من الممكن أن يكون قد واجهها بعد الطلاق .

— مدى احساسه بمسئوليته المباشرة عن الطلاق .

— مدى انسداد كل الطرق للعودة مرة ثانية .. أم أنه مازال هناك فرصة أو احتمال للعودة .

— هل ينوى الزواج مرة أخرى . هل هناك إنسان جديد فى حياته . بمعنى هل هناك أمل فى حياة زوجية جديدة ؟

حياة ما بعد الطلاق

●● ان المطلق يواجه حياة جديدة ومختلفة :

١ ـ انه الآن يواجه الحياة بمفرده . لقد كان اثنين وأصبح الآن واحدا . ربما لم تكن حياته الزوجية غير موفقة على الاطلاق . ربما كان شريك حياته بعيدا عنه نفسيا وماديا .. ربما كان يعيش فى عزلة . ربما .. وربما .. ولكن فى كل الأحوال كان اثنين . كان هناك مرجع . طرف ثان . أما الآن فهو واحد . وحيد تماما .

٢ ـ ولأنه أصبح واحدا وحيدا فعليه أن يواجه الحياة بمفرده عليه أن يتحمل المسئولية كاملة . لا أحد يسأله ولا أحد يحاسبه وهو كذلك لا يسأل أحدا ولا يحاسب أحدا . حرية كاملة . لا مشاركه ولا تعاون ولا مسئولية مشتركة .. عليه أن ينهض بكل شىء بنفسه . انه المسئول الأول والأخير .. أى المسئول الأوحد . وكذلك هو المرجع الأوحد .

٣ ـ ولقد تغيرت صفته الاجتماعية . فالناس ترى الشخص فى اطار حياته الشخصية .

الناس لا ترى الشخص مجردا . بل تراه زوجا أو مطلقا أو أرمل . أو أعزب . الناس ترى الشخص فى اطار من حوله . والآن وبعد الطلاق تتغير نظرة الناس اليه .

كان الناس يرونه فى اطار زوجة . أما الآن فانهم يرونه بصورة جديدة . وبالتالى فعليهم أن يتعاملوا معه بصفته الجديدة . كان الناس يتعاملون مع اثنين . والاثنان كان يُنظر اليهما كوحدة واحدة : هو وزوجته أو هى وزوجها .

أما الآن هو فقط وهى فقط . وبالتالى فالمعاملة ستتغير . موقف الناس سيتغير . انه تغيير حقيقى يلحظه المطلق فى معاملة الناس له وموقفهم منه . فمثلما تتغير أحاسيس المطلق تجاه ذاته ورؤيته للحياة ومواجهته لها ، فانه تتغير أيضا مشاعر الناس ورؤيتهم وموقفهم من المطلق .

٤ ـ يتغير أيضا روتين الحياة وشكلها ولابد أن تتغير بالتبعية بعض العادات . بروجرام اليوم يتغير .. قد يطرأ تغير على مواعيد النوم واليقظة والطعام . شكل الأيام يتغير . شكل الاجازة يتغير . ولا يعنينا هنا هل هو تغير فى الاتجاه السلبى أم الايجابى . ولكن المهم أن تغييرا لابد أن يطرأ على شكل حياة المطلق وروتينها .

٥ ـ وفى بعض المجتمعات قد يتعرض المطلق لمواقف سلبية ونظرة ظالمة ومعاملة غير طيبة من الناس . وخاصة المرأة المطلقة ، وخاصة فى بعض المجتمعات وبعض البيئات الاجتماعية . وربما هذا هو السبب فى أنه فى هذه المجتمعات وهذه البيئات الاجتماعية بالذات تحجم المرأة عن الطلاق مهما كانت درجة معاناتها من الزواج

لما تتوقعه من تدهور اجتماعى سيلحق بها بعد الطلاق ، ومن مواقف حرجة ومؤلمة وظالمة من الناس . وعموما فإن المطلق رجلا كان أو امرأة يلقى ترحيبا اجتماعيا أقل وخاصة من الأسر المتماسكة ، وكأن المطلق كالمريض الذى يحمل ميكروبا معديا . أو كأنه يذكر الناس بالفشل الذى قد يتعرض له أى زواج أو هو ذاته المطلق نموذج للفشل ، أو خوف الناس من الحسد (فى بعض البيئات التى يسيطر عليها الحسد) إذ يتصورون أن المطلق سيحسدهم على حياتهم الزوجية الموفقة .

وهذه بالطبع نظرة ظالمة للمطلق ، إذ أن المطلق قد يكون غير مسئول اطلاقا عن فشل الحياة الزوجية ، وقد يكون حاله أفضل كثيرا بعد طلاقه ويكون راضيا سعيدا بهذه الحياة بعد حياة زوجية مؤلمة وقاسية ، وأنه هو فى حد ذاته كشخص بمفرده يملك مؤهلات النجاح فى الحياة العامة والخاصة ، وأنه أيضا قيمة إنسانية سامية .

٦ ـ وعلى المطلق أيضا أن يواجه الحياة وهو مستقل اقتصاديا . وربما ينخفض مستوى الحياة إذا كان يعتمد قبل طلاقه على الطرف الآخر اقتصاديا . وقد يضطر للعمل أو لمضاعفة العمل ليستعيد ويحافظ على المستوى الاقتصادى الذى كان ينعم به قبل الطلاق .

٧ ـ وتواجهه أيضا مشكلة الاقامة .. إذ ان عليه فى بعض الأحيان أن يغادر هو منزل الزوجية ، وبالتالى عليه أن يبحث ويرتب مكانا آخر .

والانتقال إلى مكان آخر للحياة يحمل فى حد ذاته بعض التغيرات النفسية والتى قد تواجه بعض الناس حتى بدون طلاق . حتى وان كانت الأسرة كلها ستنتقل إلى مسكن جديد . وحتى وان كان هذا المسكن الجديد أفضل من القديم .

هذه مشكلة من مشكلات التكيف التى على المطلق أن يواجهها . وقد تسبب له بعض المعاناة . وهذا أحد جوانب تغير شكل الحياة بشكل عام .

٨ ـ ثم عليه أن يواجه الأولاد بمفرده . لقد كانت الأولاد مسئولية الأب والأم معا فى مكان واحد . الآن الأب يعيش فى مكان ، والأم تعيش فى مكان آخر . ولكن مازال هذا الأب وهذه الأم المطلقان مرتبطين . مازال هناك شىء يربط بينهما . مازال هناك شىء مشترك وهو الأولاد ومسئولية إعاشتهم وتربيتهم ورعايتهم والحفاظ عليهم والترتيب لمستقبلهم . وبالتالى فان الحوار لم ينقطع نهائيا . ولن ينقطع .

إذن مازال عليه أن يتعامل مع شريكه القديم . مع مطلقه . وتلك صعوبة أخرى وخاصة إذا كان ينوى أن يبدأ حياة جديدة مع شخص جديد .

تلك مسألة يحيطها بعض الصعوبات والمشكلات وتحتاج إلى درجة من النضج والوعى والشعور بالمسئولية تجاه الأولاد . تحتاج أيضا إلى سمو أخلاقى وإنسانى . تحتاج إلى أن يرتفع الانسان فوق آلامه ومشاعره السلبية تجاه الطرف الآخر ، ولكن تبقى مشكلة أنه يواجه الأولاد وحده بدون وجود الطرف الآخر معه بشكل مباشر فى نفس الزمان والمكان .

٩ ـ ثم أن المطلق الآن يعيش بدون عواطف وبدون جنس . قد تكون حياته الزوجية قبل الطلاق خالية من أى عواطف . وعلاقته الجنسية بالضرورة كانت مضطربة . وربما الآن بعد الطلاق قد تخلص من عبء علاقة جنسية كانت تثير لديه الآلم والنفور . وتخلص أيضا من عبء أن يجامل عاطفيا إذ لم يكن يحمل

أى مشاعر للطرف الآخر بل ربما كان يحمل له مشاعر الكراهية . ولكن الآن وعلى أى الأحوال ومهما كانت الأحوال قبل الطلاق .. فإنه يعيش فى الصحراء الجرداء التى ليس بها أى ماء يروى احتياجاته العاطفية والجنسية .

● ● ●

●● والأمر يختلف من إنسان لإنسان .

●● هناك إنسان يستطيع أن يعيش وحيدا . يستطيع أن يواجه الحياة بمفرده . لا يعانى من مشكلات ضخمة من شعوره أنه أصبح واحدا بدلا من اثنين . يستطيع أن يتجاهل تغير موقف الناس تجاهه بعد طلاقه . يستطيع أن يتكيف على شكل الحياة الجديدة . يستطيع أن يعرف أصدقاء جددا . بل ربما يستطيع أن يعيش بلا أصدقاء . ولا يؤلمه عدم الترحيب الاجتماعى من الأسر التى تتحفظ فى علاقتها بالمطلق . يستطيع أن يستقل اقتصاديا . يستطيع أن يعيش بلا عاطفة وبلا جنس أو هو يستطيع أن يكبت احتياجاته الوجدانية والبدنية .

●● وهناك إنسان آخر لا يستطيع الحياة دون أن يكون هناك إنسان معه . أن يعيش مع إنسان . إنسان قريب . أن يتكلم مع إنسان . أن ينام بجانب إنسان . أن يكون مسئولا عن إنسان وأن يكون مسئولا من إنسان . كما أنه لا يستطيع أن يواجه الحياة بمفرده ولا يتحمل موقف الناس منه وهو مطلق . ولا يستطيع أن يعيش بدون عاطفة . ولا يستطيع أن يعيش بدون جنس . ربما ليس لاحتياج جنسى ولكن لأن هذا تعبير عن أقصى درجات إقتراب إنسان آخر منه .

ان حياة الطلاق قد تناسب بعض الناس وتوافق شخصيتهم .

ولكن بعض الناس لا يستطيعون . وتسوء حالتهم كثيرا بعد الطلاق . هؤلاء الناس لابد أن يتزوجوا مرة أخرى .

● ● ●

الأبنـــاء .. بعـد الطـــلاق

تعاسة الأبناء مضاعفة . تفوق تعاسة الزوج والزوجة بعد الطلاق . وهو نفس الاحساس بالخراب والضياع ، وانهيار الكيان . الكيان الأسرى الذى كان يضمهم . الكيان الذى كانوا متوحدين معه . ان الطلاق له تأثيره المباشر على الأبناء . ومعاناتهم لا تقل عن معاناة الزوج والزوجة ، وإذا كان الزوج أو الزوجة يشعر كل منهما أنه واحد بعد الطلاق بدلا من اثنين فإن احساسا مشابها يداهم الأبناء .

انه احساس بالتداعى والانهيار الداخلى .. احساس بأنه انتقص منهم شىء . احساس بالنقصان . احساس بالفقد . فقد جزء من الذات ، من الهوية . من القيمة . فقد جزء من النفس .

انها مشاعر الفقد والانتقاص من الكيان الذاتى . وكما يكتسب الأب أو الأم صفة مطلق ، فإن الأبناء يشعرون أنهم أيضا أصبح لهم صفة جديدة أو اسما جديدا لأنه قد أصبح لهم وضع جديد . صورة جديدة . انهم الآن مختلفون .

هذه هى المشاعر الأولى الدقيقة التى تنتاب الأبناء بعد الطلاق . وكأنهم هم الذين طُلقوا . وهم فى الحقيقة طلقوا . لقد طُلقوا من الحياة الأسرية المتماسكة ، طُلقوا من البيت المستقر .

● ● ●

ولذلك فالأبناء يعانون من الطلاق أكثر مما يعانيه الأبوان .

● ● ●

وهم لا يهمهم لماذا حصل الطلاق .. وهل كان من الضرورى

أن يقع . ولا يهمهم من المسئول : الأب أم الأم . لا يهمهم إلا انه قد وقع وأنهم الآن فى وضع جديد وحالة أسوأ .

● ● ●

وهم لا يهمهم قدر ما كانوا يعانون من قلق وفزع وخوف وعدم سعادة قبل الطلاق . ولا يهمهم ما قد يطرأ على حياتهم من تغيير ايجابى فعلى بعد الطلاق . هم لا يدركون ذلك أو بالأصح لا يهمهم ذلك . ان مشكلتهم بعد الطلاق هى حالة الفقد والانتقاص من الكيات الذاتى . انهيار الأسرة وخراب البيت .

● ● ●

وهم لايهمهم قدر المعاناة التى كانت تشعر بها الأم أو قدر الألم الذى كان يعانيه الأب أو يعانيه الاثنان معا . لا يهمهم كم كانت الحياة الزوجية بين أبيهم وأمهم غير موفقة وغير سعيدة بل كانت مصدرا للألم . لايهمهم أن أباهم أو أمهم قد يكونان أفضل بعد الطلاق . ان مايهمهم ومايؤلمهم حالة الفقد والانتقاص من الكيان الذاتى .

● ● ●

وتتلخص الآثار التى يتعرض لها الأبناء بعد الطلاق فى الآتى :

١ ـ بالاضافة إلى مشاعر الانتقاص والفقد فإنهم يعانون أيضا من انهيار الثقة بالنفس . انها مشاعر تشابه تلك التى يشعر بها الأب والأم بعد الطلاق . انها مشاعر الفشل والاحباط واللا قيمة واللا أهمية .

٢ ـ وكذلك يعانون اجتماعيا . فهم الآن مختلفون عن معظم الأبناء . فالكل لهم أباء وأمهات يعيشون معا . لهم كيان . أسرة متماسكة .

ولذلك فقد تظهر لهم حساسية جديدة تجعلهم يعتقدون أن الناس تنظر اليهم بطريقة مختلفة . تتعامل معهم بطريقة خاصة . وقد يكون ذلك غير حقيقى . ولكن هكذا يشعرون . فالمشكلة داخلهم وليست خارجهم . وهى مشكلة حقيقية واقعية لها أساسها المادى . وهى أنهم أصبحوا مختلفين فعلا . أصبحوا أبناء الأسرة المفككة ، ولذلك فعليهم أن يواجهوا المجتمع بصورتهم الجديدة . وهذا يتطلب تكيفا يزيد من أعبائهم النفسية .

على الأبناء أن يتكيفوا مع الوضع الجديد . والوضع الجديد هو أنهم لا يستطيعون أن يظهروا مع الأب والأم وهما معا . إما ان يكونوا مع الأب وحده . أو مع الأم وحدها ، عليهم أن يتعاملوا مع ابناء الأسر المتماسكة بالرغم من مشاعر النقص التى تجتاحهم .

٣ ـ عليهم أن يواجهوا الحياة . المجتمع . والناس . المدرسة . والأصدقاء . فى ظل حياة مع الأب وحده أو مع الأم وحدها . فالأبناء فى الغالب يعيشون مع أحد الوالدين بصفة دائمة ويصبح الوالد الآخر على هامش حياتهم . حياة كاملة مع طرف ، وحياة هامشية مع الطرف الآخر . طرف هو أساس الحياة ومصدرها الحقيقى ، وطرف آخر هامشى لا يلعب دورا أساسيا أو مؤثرا فى حياتهم وإنما يتعاملون ويتفاعلون معه كأنه صديق .

التحام عضوى حياتى يومى بطرف ولا التحام على الاطلاق بالطرف الآخر . ولذلك فهم يظهرون للمجتمع مع الطرف الذى يعيشون معه حياة دائمة . هكذا تأخذ الحياة شكلها الجديد . هكذا يتعايشون مع المجتمع بناسه ومشاكله ومتطلباته .

٤ ـ وتلك حياة لها مشاكلها . فبعض المواقف الاجتماعية تحتاج لوجود الأب . ومواقف أخرى لا يصلح فيها إلا وجود الأم .

فالأب لا يستطيع أن يحل محل الأم . والأم لا تستطيع أن تحل محل الأب . هو أب واهم ذلك الذى يتصور أنه يستطيع بجهد مضاعف ومخلص أن يعوض الأبناء ابتعاد أمهم عنهم .

وهى أم واهمة تلك التى تتصور أنها تستطيع بجهد مضاعف ومخلص أن تعوض الأبناء ابتعاد أبيهم عنهم . الحياة تحتاج الأب مثلما تحتاج الأم .

أن الحياة تحتاج وجود الأب والأم معا . ان (معا) هذه تلبى احتياجات من نوع خاص وتواجه مواقف ذات طبيعة معينة . احتياجات ومواقف لا يستطيع الأب أن يواجهها بمفرده ولا تستطيع الأم أن تواجهها بمفردها .

وكذلك لا يستطيع الأب والأم أن يواجهاها وهما منفصلان . انها احتياجات ومواقف تتطلب أن يكون الأب والأم معا فى بيت واحد ومعهما أبناؤهما .

إذن الأبناء إما أن يفتقدوا الأب أو يفتقدوا الأم . كذلك فانهم يفتقدون ـ وهذا هو الأهم ـ وجود الأب والأم (معا) .

٥ ـ ثم يواجه الأبناء مشكلة نفسية أخرى أعمق وأحد . وهى مشكلة الولاء العاطفى . فالحياة الدائمة مع طرف والابتعاد المكانى عن الطرف الآخر يخلق لديهم حالة من عدم التوازن العاطفى . فالافتراض الصحى والطبيعى أن تكون عواطفهم متوازنة ومتعادلة ناحية كل من الأب والأم إلى حد كبير .

قد تميل كفة الميزان ولكن قليلا جدا فى الأحوال الطبيعة وذلك حسب جنس الطفل وعمره . ولكن عموما تكون عواطفه متوازنة إلى حد بعيد . وهذا التوازن لا يشعره إلا إذا كان الأب والأم يعيشان معا . ابتعاد أحدهما يخلق حالة من عدم التوازن .

وهذا أخطر ما يمكن أن يواجهه الطفل فى مراحل نموه النفسى الأولى . فهو يحتاج إلى بعض جوانب صورة الأب ليتوحد معها . وهو يحتاج بنفس القدر إلى بعض جوانب صورة الأم ليتوحد معها . التوحد يكون مع الأب والأم كليهما سواء إذا كان الطفل ذكرا أم أنثى .

الطفل الذكر يحتاج إلى الأب ليبنى له الكيان الرجولى فى شخصيته . ليدعم الجزء الذكرى فى نسيجه النفسى ، يحتاج رجلا وهو أبوه ليكون رجلا مثله . وأيضا يحتاج إلى أمه ليبنى الجزء الأنثوى فى شخصيته . الجزء الذى يدرك به الأنثى فى حياته . الجزء الذى يجعله يشعر بالأنثى . يشعر كيف تشعر وبذلك يعيش معها ويتفاعل معها ..

الطفل الذكر الذى ينشأ بدون أم يجد صعوبة كبيرة فى التعايش والتفاعل مع أنثى . معرفة الأنثى لا تتحقق إلا من خلال الأم . وكذلك الطفلة الأنثى تحتاج إلى الأم لتصير أنثى . تحتاج إلى الأم لتبنى لها الكيان الانثوى فى شخصيتها ولتدعم الجزء الأنثوى فى نسيجها النفسى . تحتاج امرأة وهى أمها لتكون امرأة مثلها .

وأيضا الطفلة الأنثى تحتاج إلى أبيها ليبنى الجزء الذكرى فى شخصيتها . الجزء الذى يجعلها تشعر بالرجل . تشعر كيف يشعر وبذلك تعيش معه وتتفاعل معه . الطفلة الأنثى التى تنشأ بدون أب تجد صعوبة كبيرة فى التعايش والتفاعل مع رجل ، معرفة الرجل لا تتحقق إلا من خلال أب .

وعملية التوحد وأهميتها فى البناء النفسى للطفل تحتاج إلى حب . لابد أن يحب الطفل أمه . ولابد أن يحب الطفل أباه . إذا لم يحب الطفل أمه فشل فى التوحد معها أو واجه صراعات حادة فى التوحد معها ، وإذا لم يحب الطفل أباه فشل فى التوحد معه .

ولذلك فالطلاق يحرم الطفل من التوحد الحقيقى والمستمر مع الطرف الذى يعيش بعيدا عنه . وفى نفس الوقت .. فإن الطفل يحمل مشاعر عدائية لا شعورية تجاه الطرف الذى يعيش معه (الأب والأم) لأنه يعتبره مسئولا مع الطرف الآخر عن حالة الطلاق . ولذلك فانه يجد نفس الصعوبة فى التوحد مع هذا الطرف .

إن هذا الطفل يواجه أزمة هوية جنسية ، فهو طفل ذكر فشل فى التوحد مع الأب ليصبح رجلا مثله ، وفشل فى التوحد مع الأم ليعرف كيف يشعر بالأنثى . وهى طفلة أنثى فشلت فى التوحد مع الأم لتصير امرأة أنثى مثلها وفشلت فى التوحد مع الأب لتعرف كيف تشعر بالرجل . هذا يحدث سواء استقر الأطفال مع الأب أو استقروا مع الأم .

ولكنهم بدون شك يكونون أكثر توحدا مع الذى يعيشون معه . أو فلنقل أقل فشلا فى التوحد مع الطرف الذى يعيشون معه عن الطرف الذى يعيش بعيدا عنهم .

الطرف الذى يعيش بعيدا عنهم (الأب والأم) يفشل كنموذج يتوحد الأبناء معه .

٦ ـ وصعوبة نفسية أخرى يواجهها هؤلاء الأبناء وهو فشلهم فى التوحد مع النموذج الأسرى . فمعنى الأسرة لا نكتسبه إلا من خلال الحياة مع أسرة . قيمة الأسرة وجدواها وقيمتها وأهميتها وفلسفتها لا يتمثلها الطفل ولا يدركها ولا يستوعبها ولا يتوحد معها ولا ترسخ فى عقله ووجدانه إلا إذا عاش مع أسرة . إلا إذا عاش مع أب وأم يعيشان معا .

لا معنى ولاقيمة ولا أهمية للأسرة إذا عاش الطفل بدون أسرة .

وتعبير « بدون أسرة » مقصود به أسرة بدون أب أو بدون أم افترقا بسبب الطلاق .

●● والتوحد مع الأسرة معناه قدرة الطفل على الاحساس بأنه ينتمى لجنس معين وأن عليه أن يرتبط بإنسان من الجنس الآخر ويعيش معه حياة أبدية خالدة . وأن الحياة لا تكون ممتعة ومثمرة وسعيدة إلا من خلال الحياة مع هذا الانسان .

٧ ـ اذا واجهت الطفل أزمة الهوية الجنسية وواجهته مشكلة الفشل فى التوحد مع معنى الأسرة فإن جهازه القيمى يفتقد لبعض القيم الهامة ، أو حين تتكون عنده هذه القيم تكون ضعيفة مهزوزة مشوشة ، وهى قيم الحب والعطاء والتفاعل الانسانى مع الجنس الآخر ، واحترامه وتقديره والاحساس الحقيقى بالاحتياج اليه . وقيم الاخلاص والوفاء وهى قيم رسوخ العلاقات وثباتها واستقرارها .

ولذا فان هذا الطفل قد تتدعم لديه قيم أخرى سلبية وهى الأنانية والاحساس بعدم الاحتياج للآخرين ومحاولة تقوية امكانياته الذاتية إلى حد الاستغناء الكلى «عاطفيا وماديا » عن الجنس الآخر . مع توخى الحذر والشك إذا ارتبط بالجنس الآخر .

انه يكون قويا ومستقلا أكثر مما يحتاج الزواج . ويكون أنانيا أكثر مما يحتمل الزواج وتتأكد لديه قيم السوق فى التعامل مع زوجة وهى قيم الأخذ بقدر العطاء أو الأخذ بقدر يفوق العطاء ولو قليلا .

مثل هذا الانسان يستطيع بسهولة وبدون آثار نفسية مدمرة أن يستغنى عن شريك حياته إذا لم يتحقق معه الاشباع الكامل فى كل الجوانب من هذا الشريك . إذا افتقد شيئا فإنه يبحث عنه فى مكان آخر ، وإذا افتقد عدة أشياء فإنه يقرر وبسهولة وببساطة

الاستغناء عن هذا الشريك . ويستطيع بنفس السهولة وبنفس البساطة أن يبدأ الحياة مع إنسان جديد .

● ● ●

مساعدة أطفال المطلقين

معالجة الآثار النفسية التى يتعرض لها الأبناء بسبب الطلاق ، والتخفيف من آثار التدمير الذى يلحق بهؤلاء الأبناء ، ومحاولة مساعدتهم بطريقة ايجابية لتعويض النقص النفسى والاجتماعى بطريقة بناءه لينمو نموا صحيا سليما ، كل هذا يتطلب أبا وأما ناضجين يتمتعان بحس إنسانى سوى ويمتلكان بناء أخلاقيا متماسكا .

قد يتصور البعض أن هذه الافتراضات المثالية من الصعب توافرها فى اثنين فشلا فى أن يحافظا على قدسية الحياة الزوجية . وهذا غير حقيقى لأن بعض حالات الطلاق تكون لأسباب خارجة عن الارادة .. أسباب قهرية . أسباب أباحها الله عن كره وبغض . أسباب متعلقة بالضعف الانسانى وليس السوء الانسانى .

والفرق كبير بين الضعف والسوء . ولهذا فالزوج والزوجة قد يكون كل منهما على حدة يتمتع بهذا النضج وتلك الأخلاق الانسانية ولكنها حينما كانا معا كانا سيئين أو كان أحدهما سيئا .

فى بعض حالات الطلاق يكون أحد الطرفين سيئا فعلا . سيئا لأنه هو سيىء كإنسان .

وفى قليل من حالات الطلاق يكون الطرفان سيئين ، سيئين لأن كلا منهما سيىء فى حد ذاته .

إذا كان أحد الطرفين سيئا أو كلاهما سيىء فإن الأبناء يتعرضون فى هذه الحالة لكل الآثار النفسية المدمرة للطلاق .. بينما

ينجو من بعض هذه الآثار أو تصبح أقل تأثيرا فى حالة الافتراض المثالى لكل من الأب والأم المطلقين .

ماذا نفعل من أجل أبنائنا بعد الطلاق ؟.

— يجب الحرص على توفير الاستقرار المادى للأبناء . بنفس المستوى الذى كانوا يعيشون فيه . ويفضل فى نفس المكان .

— يجب الحرص على توفير مستوى حياة لا يقل عن المستوى الذى كانوا يعيشون فيه قبل الطلاق . وتوفير كل احتياجاتهم بنفس القدر .

— يجب الحرص على عدم الضغط على الأبناء لكى يغيروا أسلوب حياتهم وعاداتهم ونشاطاتهم الاجتماعية والترفيهية .

— يجب الحرص على ألا نضطر الأبناء إلى أن يغيروا من خططهم التعليمية وما يتعلق بها من طموح علمى وظيفى .

— يجب أن نحافظ على الصورة الاجتماعية للأبناء وذلك عن طريق التواجد المستمر للأب والأم المطلقين فى حياة الأبناء وخاصة فى المناسبات الاجتماعية التى تقتضى ذلك . وكذلك عدم تشويه صورة الأب أو صورة الأم اجتماعيا . فالأبناء يحب أن يظلوا فخورين بأمهم وبأبيهم مدى حياتهم . ويجب ألا نعرض الأبناء للاحساس بالخزى والعار . هذه أكبر جريمة نعرض أبناءنا لها .

— يجب ألا نستخدم الأبناء كوسيلة لالهاب الصراع أو حل الصراع « عن طريق لوى الذراع » . يجب أن يكون الأبناء بعيدين كل البعد عن الصراعات التى قد تنشأ بعد الطلاق .

— محاولة طرف الاساءة للطرف الآخر بعد الطلاق هى نوع من الضعف وسوء الخلق وفقد الثقة بالنفس والاحباط والاحساس بالهزيمة . بذلك تضطرب صورته لدى أبنائه .

يجب أن يحافظ كل طرف على صورته السوية فى نظر أبنائه .

وأن يحافظ على صورة الطرف الآخر . بعدم الاساءة اليه . كل المحاولات لجذب الأبناء عاطفيا والحصول على تأيدهم هى محاولات فاشلة . بل هى محاولات لا تثير لدى الأبناء إلا الاستخفاف والاستهتزاء وربما الاشمئزاز . ولهذا يجب أن نحافظ على التوازن العاطفى لدى الأبناء بقدر الامكان .

— وحرصا على مستقبل الأبناء وحقهم فى الحب وحقهم فى أن يعيشوا حياة أسرية سوية يجب أن نؤكد لهم بقدر الامكان وبحس أخلاقى إنسانى راق فاهم وواع .. أن فشل حياة زوجية لأسباب خاصة لا يعنى فشل الحب أو فشل الزواج بشكل عام . يجب أن يستقر فى وجدانهم أن الحب هو أعظم قيمة إنسانية وأن الزواج هو أعظم أسلوب حياة . ان هذا هو الدليل الحقيقى على حبنا لأبنائنا وارتفاعنا فوق آلامنا وجراحنا الشخصية .

— يجب الحرص على استمرار الاحتفاظ بالسلطة الوالدية . وهى السلطة القادرة على التوجيه والتصحيح والتعليم والتربية والعقاب والثواب . وهى السلطة التى يجب أن تطاع بما لا يتعارض مع الروح الديمقراطية . ويجب أن يدعم كل طرف « الأب والأم المطلقين » سلطة الطرف الآخر . فتحض الأم أبناءها على طاعة أبيهم واحترامه ، وكذلك يحض الأب أبناءه على طاعة أمهم واحترامها .

— يجب أن يقف الأب والأم معا فى مواجهة أى انحراف قد يتعرض له أحد الأبناء أو عصيان أو محاولة أحد الأبناء الاستفادة من وضع الطلاق الجديد أو محاولة ابتزاز أحد الطرفين . وهذا السلوك متوقع من بعض الأبناء بعد الطلاق .

فالغياب النسبى لإحدى السلطتين يتيح مجالا للأبناء ـ وخاصة إذا كان لديهم الاستعداد ـ للانحراف . وكذلك غياب الرقابة

والمشاكل التى قد يغرق فيها الوالدان قد تدفع الأبناء لاستغلال الموقف وابتزاز أحد الوالدين أو كلاهما وقد يتمادى أحد الوالدين فى ارضاء الأبناء جذبا لاهتمامهم والحصول على تأييدهم وولائهم أو كتعويض عن احساسه بالذنب تجاههم مما يدفع الأبناء لمزيد من الانحراف .

ولذا يجب الحرص بقدر الامكان على استمرار الأسلوب التربوى الذى كان متبعا فى تنشئة الأبناء قبل الطلاق . إن هذا صعب فى الحقيقة وخاصة بسبب البعد المكانى للوالدين وبسبب الحالة النفسية التى يتعرض لها الوالدان وأيضا بسبب الحالة النفسية التى يتعرض لها الأبناء ذاتهم . ولكن الأمر يحتاج إلى جهد . يحتاج إلى مغالبة النفس فالأمر ليس سهلا . الأبناء معرضون لخطر حقيقى بعد الطلاق .

البعض يهون من أمر الأخطار التى قد يتعرض لها الأبناء بعد الطلاق وخاصة هؤلاء الذين يرون أن حال الأبناء يكون أفضل فى ظل الطلاق إذا كانت الحياة الأسرية غير موفقة . وهذا غير حقيقى . لا شى يعوض الأبناء عن حياة أسرية متكاملة فى وجود الأب والأم معا حتى وان عاشوا حياة مثالية مشبعة بعد الطلاق .. الأسرة المتكاملةهى الدعم الأخلاقى الانسانى العاطفى الوحيد للأبناء . حتى وان عاشت هذه الأسرة فى ظل الصراعات والمشاحنات والنزاعات والشقاق .

●● هذا من وجهة نظر الأبناء .

● ● ●



الزواج الثانى

●● ماهى احتمالات نجاح الزواج الثانى لإنسان فشل فى زواجه الأول ؟ هل فشل الانسان فى زواجه الأول يزيد من احتمالات نجاحه أم يزيد من احتمالات فشله فى الزواج الثانى ؟

بالمنطق العام وهو منطق علمى تجريبى أن الفشل فى التجربة الأولى ـ فى أى شىء ـ يزيد من احتمالات نجاح التجربة الثانية ـ فى نفس الشىء ـ لأن الانسان يكون قد تعلم شيئا من تجربته الأولى .

هذا هو أحد قانون التعلم الرئيسية وهو المحاولة والخطأ . وهذا ينطبق أيضا على الحيوان . فإذا وضعنا فأرا فى متاهة بها طرق متعددة ملتوية ومتعرجة وكلها مسدودة إلا طريق واحد يفضى فى النهاية إلى طعام ، فإن الفأر الجائع سيحاول أن يصل إلى الطعام . سيجرب فى البداية عدة طرق ولكنه سيجدها مسدودة سيحاول ويحاول حتى يستطيع فى النهاية أن يهتدى إلى الطريق الصحيح الذى يقوده إلى الطعام .

إذا وضعنا الفأر مرة ثانية فى نفس المتاهة فإنه سيستغرق وقتا أقل فى الوصول إلى الطريق السليم . وهذا معناه أنه تعلم شيئا من تجربته الأولى . إذا أعدنا التجربة عدة مرات فسنصل إلى مرحلة يستطيع الفأر أن يصل إلى الطريق السليم مباشرة بمجرد ادخاله المتاهة .

فهل هذا ينطبق على الزواج . هل ثبتت صحة قانون المحاولة والخطأ على الزواج مثلما ثبتت صحته فى مجالات التعليم الأخرى سواء عند الانسان أو الحيوان ؟

لا أعتقد فالزواج أمر مختلف . الزواج ليس تجربة معملية نخضعها لضوابط علمية ونستخلص منها قوانين . الزواج هو الانسان كله . الانسان بطفولته وغرائزه وعواطفه وأفكاره وأحلامه

وطموحاته وعاداته وتقاليده وفلسفته وأسلوبه فى الحياة . أسلوبه فى التعامل مع إنسان آخر والحياة معه . مفهومه عن الارتباط الانسانى ، والعلاقة مع الجنس الآخر . مفهومه عن الحب والجنس والأطفال والأسرة والحياة المشتركة . احساسه بدوره فى هذا النسيج الانسانى وهذا التفاعل الحى . الزواج هو الانسان كله مع كل الانسان الآخر .

ولذلك فالانسان هو نفس الانسان فى زواجه الأول وزواجه الثانى .

ويتزوج الانسان فى المرة الثانية بنفس الطريقة التى تزوج بها فى المرة الأولى .

ويجتذب الانسان شخصا معينا ليكون زوجه فى المرة الأولى . ويجتذب شخصا شبيها أو مطابقا ليكون زوجه فى المرة الثانية .

وإذا فشل الانسان فى المرة الثانية فإنه سيفشل لنفس الأسباب التى فشل من أجلها فى المرة الأولى . وهذا معناه أنه لم يتعلم شيئا . أى فشل قانون المحاولة والخطأ فى مجال المعاملات الانسانية فى مجال الزواج . فالانسان هو الانسان . يتحدد أسلوب حياته فى المراحل المبكرة من حياته . ويظل هو نفس أسلوبه حتى آخر يوم فى حياته .

ولكن هذا ليس معناه أن تجربة الزواج الثانى حتما لابد أن تفشل . فاحتمالات النجاح قائمة . واحتمالات نجاح رائع ليست قليلة . والسؤال لماذا فشل فى المرة الأولى ونجح فى المرة الثانية .

الزواج ينجح من الناحية النظرية إذا عثر الانسان على نصفه المكمل له . وهذا هو أيضا نفس مضمون الحب . إذن قاعدة الحب الأساسية هى الضمان لزواج موفق . فهل هذا معناه أنه فى المرة

الأولى لم يوفق فى العثور على هذا النصف المكمل له ونجح فى العثور عليه فى المرة الثانية ؟

الاجابة نعم .. ويكون هذا استنتاجا بديهيا إذا آمنا بنظرية النصف المكمل وبقاعدة الحب الأساسية . وإذا آمنا أيضا أن الزواج ليس شركة تجارية وليس اضطرارا لمشاركة إنسان آخر الحياة ، وليس حتما فرضيا .

وربما هذا هو الخطأ الذى يقع فيه البعض فى البداية حين يتزوج لأول مرة . حين يتزوج لانه يجب أن يتزوج . حين يتزوج لأنه وصل إلى السن القانونية للزواج . حين يتزوج لأن هذا هو الوضع الاجتماعى الصحيح . حين يتزوج لأنه يجب أن ينجب أطفالا . حين يتزوج لأنه يحتاج أن يمارس جنسا . حين يتزوج لتنظيم حياته الاقتصادية والمعيشية . حين يتزوج لأغراض فى نفس يعقوب . أغراض خالية من أى دوافع إنسانية .

كل هؤلاء تزوجوا فى غياب القاعدة الانسانية للزواج . ارتباط الجوانب الانسانية فى إنسان بالجوانب الانسانية فى إنسان آخر . ولا خير فى زواج يقوم على أسس مختلفة غير الأسس الانسانية .

الزواج تقابل إنسانى . ويفشل الزواج الأول إذا لم يتحرك الانسان من قواعده الانسانية لمقابلة القواعد الانسانية لانسان أخر . ولذلك حدد الله بحكمته الزواج بكلمتين اثنتين فقط : ـ المودة والرحمة ـ وهما الأساس لانسانية أى إنسان ، وهما قاعدة الحب الأساسية .

ولذلك فشل الزواج الأول لسوء الاختيار وسوء المنطلق . ومردوده إلى سوء النية . وربما بدون قصد ولكن انطلاقا من أسلوب حياة ركائزه ومفاهيمه غير إنسانية ، والمتوقع أن يحدث اصطدام مروع بعد شهر . بعد سنة . بعد عشرين سنة . المهم أن

الاصطدام لابد أن يحدث . وتأخير حدوث الاصطدام تفسيره الوحيد ان هذا الزواج كان يلبى تلك الاحتياجات غير الانسانية على مدى هذه السنين . وحين توقف عن الاستمرار فى تلبية هذه الاحتياجات حدث الاصطدام ثم الانفجار . إذا كان زواجا لتلبية توقعات غير أنسانية . فالمتوقع لمثل هذا الزواج أن يفضى إلى طلاق . ولا بديل عن الطلاق . ويكون للطلاق دوى مروع لأنه جاء بعد سنين طويلة .

● وكما أوضحت سلفا فإن القرآن الكريم أوضحها بجلاء .. فالطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات .. فالتقاء الطيب بالطيب هو التقاء قاعدة إنسانية بقاعدة إنسانية أخرى . التقاء حب بحب . فتحقق المفهوم الالهى للزواج : ـ المودة والرحمة ـ .

● والتقاء خبيث بخبيثة هو التقاء قاعدة غير إنسانية بقاعدة غير إنسانية أخرى .

زواج له مقاصد ومآرب وأهداف غير إنسانية . أى بعيدة عن ارضاء النفس . هذا الزواج قد يستمر طالما أن هناك تلبية وتحقيق للتوقعات غير الانسانية . ولكنه حتما سيصل إلى نقطة فشل نهائية .

والزواج الثانى فى مثل هذه الحالة هو تكرار للزواج الأول .

● الاحتمال الثالث هو التقاء خبيث بطيب وهذا أمر جائز الحدوث وفقا لنظرية الاحتمالات الحسابية . التقاء قاعدة غير إنسانية بقاعدة إنسانية . وهذا تقابل غير ممكن . والنهاية متوقعة منذ اللحظة الأولى .

ان الطيب يرفض الخبيث فورا مثلما يرفض جسم الانسان الأجسام الغريبة عليه . انها حالة من الرفض البيولوجى والنفسى والروحى . انه علاقة كمياء بكمياء . وعلاقة مشاعر بمشاعر .

وعلاقة أفكار بأفكار . وعلاقة روح بروح . ولابد أن نصل إلى نقطة فراق لا رجعة فيها . وهنا قد يوفق الطيب فى المرة الثانية ـ بإذن الله ـ فى العثور على النصف المكمل . النصف الانسانى الذى يقابله بقاعدة الحب . القاعدة الانسانية .

● ● ●

والزواج الثانى قد يأتى بعد الطلاق مباشرة أى بعد انقضاء العدة بيوم واحد . واحتمالات الفشل فى هذا الزواج عالية . فالمطلق مازال مريضا . مازال يعانى من آثار الطلاق سواء إذا كان الطلاق عن رغبة أو مكره عليه . انه يتزوج بسرعة ليسكن آلامه النفسية وليستعيد ثقته بنفسه ويمسح آثار الفشل .

والزواج بعد الطلاق غير الزواج بعد الترمل .

والزواج فى سن مبكرة غير الزواج فى السن المتقدمة .

والزواج مع وجود أطفال من الزواج الأول غير الزواج بدون أطفال .

والزواج الثانى بالنسبة للمرأة غير الزواج الثانى بالنسبة للرجل . فالمرأة بحكم تكوينها وتاريخها تعرف المعنى الحقيقى والدفين للاستقرار . ومن أهم أهدافها فى الزواج الثانى الاستقرار الانسانى مع إنسان . ولذلك فهى فى زواجها الثانى تكون أكثر إيجابية وأكثر قوة وأكثر عطاء لكى تحافظ على استمرارية الزواج . أى تبذل جهدا أكثر وتقدم تضحيات أكبر .

وبالنسبة للأرملة فإنه إذا كان زوجها الأول طيبا وعاشت معه حياة سعيدة ولها منه أبناء وبنات فإنها تشعر بإنها خيانة لزوجها الذى مات أن تتزوج بعده .

وفى هذه النقطة بالذات تختلف النساء .. فهناك الأرملة التى تبلغ من العمر ثلاثين عاما وتظل وفية لذكرى زوجها حتى نهاية

عمرها ولا تتزوج وتتفرغ لتربية أطفالها الصغار حتى وان كان طفلا وحيدا .

وهناك الأرملة التى تبلغ من العمر خمسين عاما وتتلهف على الزواج بعد شهور قليلة من وفاة زوجها حتى وان كانت تستمتع بالاستقرار المادى الذى يعفيها من الحاجة إلى رجل ، وحتى ان كان لها أبناء فى حاجة اليها أو أبناء يضيرهم أن تتزوج أمهم وهى فى هذه السن المتقدمة .

والأمر يتوقف على احتياجات المرأة .. الاحتياج ليس ماديا فقط وليس عاطفيا فقط وليس جسديا فقط . وليس كل هذه الأشياء مجتمعة أو بعضها . ولكنه احتياج لوجود أنسان .. رفيق .. إنسان يشاركها الحياة .. إنسان تنتمى اليه . وهو نوع من الانتماء يختلف عن أى انتماءات أخرى . ولكل إنسان احتياجات ورغبات قد يصعب عليه مقاومتها أو تجاهلها .

ولو كان الزوج الأول سيئا فالأرملة قد تتردد فى الزواج خوفا من تكرار تجربة تجر عليها آلاما جديدة كانت قد استراحت منها بموت زوجها .

● ● ●

والزواج الثانى محاط ببعض المخاطر :

١ ـ فالمطلق الذى عانى من زواجه الأول يلخص كل معاناته ويختزلها ويكثفها ويرجعها إلى صفة واحدة سيئة كانت موجودة فى الشريك الأول . ولهذا فكل منهما يدقق فى الاختيار حتى لا يتكرر خطؤه فى الزواج الثانى بل ويحرص أن تكون عكسها موجود وبتأكيد واضح . وقد يتحقق له فعلا . ولكنه قد يفاجأ فى أول الطريق بصفة أخرى ، سيئة مختلفة ولكن تسبب له ازعاجا وقلقا شديدين وعدم راحة .

وهنا يشعر بالندم ويكتشف أنه تسرع ويصيبه إنزعاج ممكن يؤثر على علاقته بزوجه . وقد يفقد توازنه ويقرر الخلاص من هذا الزواج قبل التمادى فيه . ولذا نلاحظ حالات طلاق سريعة جدا بعد شهر أو شهرين أوربما أقل من سنة فى الزواج الثانى . ومعظمها بسبب الرعب التى ينتاب الزوج أو الزوجة حين يخيم عليهما شبح الفشل مرة ثانية فيقررا الفرار .

الانسان لا يتزوج من سمة أو صفة ولكنه يتزوج من إنسان . الانسان كله بسماته وصفاته مجتمعة . الانسان بمساوئه ومحاسنة . ليس مهما وجود صفة سيئة .. المهم ألا تتعارض هذه الصفة مع القاعدة الانسانية الأساسية ولا تعوق امتداد المودة والرحمة بينهما .

٢ ـ الأرملة قد تحمل لزوجها ذكريات طيبة على عكس المطلقة . ولذا فالأرملة وبدون أن تدرى قد تظل مرتبطة بالعادات القديمة وبأسلوب حياتها مع زوجها الراحل . وفى كل لحظة وبدون أن تدرى تقارن . ومخاوفها فى البداية تكون أكبر وندمها يكون أفدح .

وقد يشعر الزوج الحالى بذلك . وقد تؤرقه صورة زوجها الأول . وقد تتعمد هى أن تتحدث عن زوجها الأول . وقد تفلت منها عبارات توحى بالمقارنة التى تكون فى صالح الزوج الأول . وبالطبع فإن أولادها سيؤيدون موقفها . سيتحيزون لأبيهم . سيدعمون لديها الاحساس والرأى بان أباهم كان أفضل .

وكذلك المرأة التى تتزوج رجلا أرمل تظل مشاكلها إلى وقت طويل كيف كانت زوجته التى رحلت . وبدون أن تدرى تحاول أن تقاوم أسلوب الحياة التى فرضته قبل رحيلها والذى اعتاده زوجها . فتغير من أثاث المنزل . تغير من عادات الأكل والنوم والترفيه . أى شىء تعرف انه كان مرتبطا بها تحاول أن تغيره . وأى مقاومة من الزوج لهذا التغيير يثير غضبها وغيرتها .

والمطلق أيضا قد يتحدث عن الزواج الأول ولكنه حديث يثير الضيق حتى وان كان فى صالح الزوجة الثانية . ان الحديث عن إنسان حتى وان كان حديثا سلبيا فانه يعنى الاهتمام بهذا الانسان . يعنى انه مازال يشغل حيزا من الفكر ومن الوجدان .

ان الأمر يحتاج إلى مرونة ولباقة وصبر ، الأمر يحتاج إلى تفهم . والتغيير لابد أن يكون تدريجيا والتكيف على الحياة الجديدة لا يمكن أن يتم سريعا .

ان قدرة الانسان على التكيف على شكل جديد للحياة تستغرق وقتا وتحتاج صبرا .. والنصيحة الذهبية هى الابتعاد عن المقارنة سواء بشكل علنى أو حتى فى داخلنا . المقارنة تفسد الحياة الجديدة حتى وان كانت تلك المقارنات فى مصلحة الزواج الثانى .

٣ ـ ووجود أطفال فى البيت قد يحمل الزواج الثانى أعباء كثيرة . فالزوجان يحتاجان لوقت أكثر ليقضياه معا. يحتاجان لحياة مريحة أكثر ، ودرجة أكبر من الاقتراب لتهدئة الخاطر وازالة القلق وتحقيق التوقعات ودعم الرابطة . ووجود أطفال يسرق من بعض هذا الوقت .

وقد يصبح الأطفال طرفا أو سببا فى النزاعات التى تنشأ بين الزوجين ، وبذلك تأخذ المشاكل أبعادا ثلاثية بدلا من أن تكون ثنائية مما يزيد المشاكل تعقيدا ويجعل حلها أصعب وآثارها أبقى .

والأطفال سواء أبناء الزوج أو أبناء الزوجة يكونون أقل سعادة فى البيت الجديد . ومن الصعب أن يقبل أبناء الزوج أن تحل سيدة جديدة مكان أمهم .. وأكثر صعوبة أن يقبل أبناء الزوجة أن يحل رجل آخر مكان أبيهم .

إذن هناك حالة رفض قد يعلنها الأبناء صراحة أو قد يخفونها

ولكن تظهر بصور أخرى تهدف إلى خلق المشاكل فى البيت وتشويه صورة الزوجة الجديدة لدى أبيهم أو تشويه صورة الزوج الجديد لدى أمهم .

وتظل الصراعات مستمرة ظاهرة أو خفية وذات تأثير سلبى على جميع الأطراف إلا إذا بذل الزوجان جهدا واعيا فى احتواء مشاعر الأبناء المضطربة وتفهمها وعدم اثارتها ليتكيفوا ويقبلوا الوضع الجديد .

وفى بعض الأحيان تنجح جهود الزوجين إلى درجة أن الأطفال يرتبطون عاطفيا بالرجل الجديد الذى اقتحم حياتهم أو المرأة الجديدة التى حلت محل أمهم .

وتبذل الزوجة جهدا زائدة فى العناية بأطفال زوجها وذلك للحساسية التقليدية والمفهوم الشائع عن زوجة الأب . كما يضطر الزوج إلى بذل نفس الجهد للاستحواذ على قبول وعواطف أبناء زوجته .

وحزمه مع أطفالها قد يقابل بالرفض والشك . وكذلك حزمها مع أطفاله قد يقابل بنفس الرفض والشك . ولهذا فإن أحد الأسس الهامة التى يجب أن تبنى عليها العلاقات الجديدة هو الثقة . الثقة فى حسن النوايا وصدق المشاعر ونبل الهدف وذلك يتطلب حبا ونضجا .

والأفضل أن يحاول كل طرف من الأطراف الثلاثة أن يكون طبيعيا وتلقائيا ، وأن يفصح عن مشاعره وأفكاره بوضوح وبساطة .. أى أن يكون نفسه .. وألا يتعمد أن يظهر حبا زائدا أو اهتماما مبالغا فيه حتى لا تزداد حيرة وصراع وشك الأطراف الأخرى .

وتزداد المشاكل إذا كان هؤلاء الأطفال قد وصلوا إلى سن

المراهقة أو تعدوها إلى أعتاب الشباب حيث تزداد احتياجاتهم وتزداد مشاكلهم ويزداد تدخلهم فى حياة الزوجين ويزداد تأثيرهم . يستمع الزوج لأبنائه باهتمام أكثر ويقيم وزنا أكبر لآرائهم ويبذل جهدا أكثر لإرضائهم .

وكذلك الزوجة تعتمد على أبنائها لتدعيم موقفها وتقوية ذاتها وقد تتوحد معهم فى صراعها ضد زوجها إذا نشأ بينهما خلاف وتشعر أن أولادها هم السند والحماية .

ان ذلك خطأ قاتل يقع فيه الزوج وتقع فيه الزوجة لأن الأبناء قد يتعمدون أن تصل الأمور إلى هذا المأزق الحرج وتكون تلك هى مبارياتهم المفضلة فى أن يعطوا الأب أو يعطوا الأم احساسا زائفا بالتوحد والتكتل ضد الطرف الآخر . وبذلك ينجحون فى خلق صراعات حادة بين الزوجين والتى تهدد الزواج الثانى تهديدا فعليا بالفشل .

ولكن علينا أن نراعى أن الأطفال يتعرضون لمعاناه حقيقية إذا أقدمت أمهم على الزواج بغير أبيهم أو أقدم الأب على الزواج بغير أمهم . يضطرب نوم الأطفال . يفقدون الشهية للطعام . يضطربون فى الدراسة ، يصعب التركيز تزداد العدوانية . يحدث التبول الليلى اللا إرادى . إلى آخر قائمة طويلة من المشاكل النفسية والعضوية .

ويجب أن نتقبل أنها صدمة نفسية ليست هينة أن يعيشوا مع إنسان غير أبيهم أو غير أمهم .. انهم معذورون . هذا يبين أنهم كانوا يفضلون الحياة مع أبيهم وأمهم معا حتى وان كانت حياة كلها مشاكل وصراعات ومشاحنات . هذا أفضل عندهم من حياة هادئة مع رجل غير أبيهم أو امرأة غير أمهم .

ولكن الأب والأم معذوران أيضا . وعلينا أن نوفق بين أعذار

الجميع . وهكذا الحياة محاولات متصلة للتوفيق بين احتياجات ورغبات متعارضة .

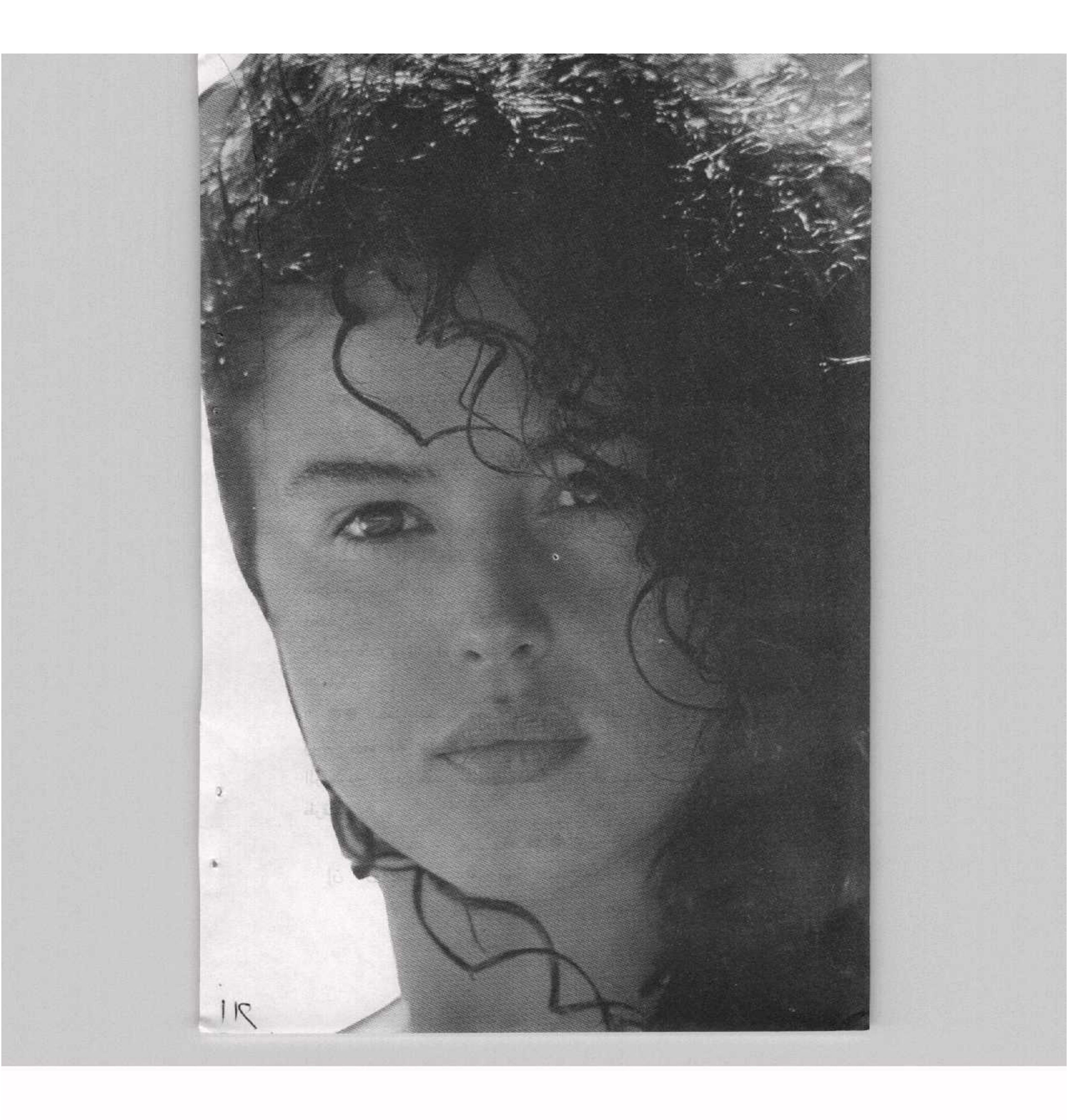
●● وتزداد المشاكل بالقطع إذا عاش أطفالها وأطفاله معا فى بيت واحد . يظهر شىء جديد وهو المنافسة القاسية ومحاولة كل طرف أن يدعم أبناءه ويتيح لهم الفرصة للتفوق والبروز وأن يكونوا الأفضل فى كل مجال .

●● وقد يثمر الزواج الجديد عن أطفال جدد إذا كانت المرأة فى سن تسمح لها بالانجاب . والأطفال الجدد يكونون وحدة جديدة مختلفة عن الأطفال الآخرين . أطفاله وأطفالها . وعادة مجىء أطفال جدد يدعم العلاقة فى الزواج الثانى ويقلل من التوترات والصراعات ويقلل اهتمامها الزائد المبالغ فيه وتحيزهما لأطفالهما السابقين .

●● الطفل الجديد يجمع طرفى الزواج الثانى على هدف جديد ويفتح لهما آفاقا لمشاعر جديدة تثرى حياتهما . إن من أقوى دعائم الربط بين اثنين هو الطفل لأنه يمثل نسيجا مشتركا تخلّق من كل طرف .

● ● ●

إن الزواج الثانى أمر ليس هينا ..



العشر الطيبات

والعشر السيئات

زوج ناجح :

١ - أن ينجح فى أن يبث مشاعر الأمان الحقيقية لدى زوجته . الزوجة الآمنة لابد أن تكون زوجة صالحة إذا كان لديها الاستعداد للصلاح . إن أهم ما تحتاج إليه المرأة هو مشاعر الأمان والطمأنينة . وإذا فقدتها اضطربت . والرجل الحقيقى هو القادر على منحها هذه المشاعر .

والمصدر الأول لأمان المرأة هو حب الرجل لها . الحب الحقيقى . فإذا شعرت بحب زوجها اطمأنت . والزوج الناجح هو الذى تكون زوجته هى حبيبته ، وحبيبته هى زوجته . وأن يرى الزواج كعلاقة مقدسة . علاقة أبدية خالدة . تطمئن المرأة فى حياتها مع رجل يقدس الزواج .

٢ - أن يكون مصدر قوته الحقيقية هو صدقه . الرجل الصادق هو رجل قوى . صادق مع نفسه . صادق مع الناس . صادق مع زوجته . والصدق هو قيمة أخلاقية عليا . وهى تعنى السمو .

فالصادق هو إنسان سام ورفيع . ولابد أن يكون شجاعا . وهذا يعنى أيضا ثقته بنفسه . وتلك مظاهر الجمال الحقيقية التى تشد المرأة إلى الرجل . وتلك هى مواطن الجمال الحقيقية عند الرجل . والمرأة تُسلم لرجل شجاع .

٣ - أن يكون قادرا على تحمل المسئولية . مسئولية الحياة . مسئوليته عن نفسه . وعن زوجته وأسرته . ومسئوليته كإنسان . والمسئولية تنبثق من الارادة الواعية . الارادة الحرة . وهى تعنى وعيه بدوره وقيمته وأهميته . تعنى احساسه بذاته ونضجه . والرجل الحقيقى هو الذى لا يُساق إلى تحمل مسئولياته ولا يتهرب منها وإنما يتجه إليها بصدق وهمة وإيمان وفهم وحب ويسعد بما يقدمه للآخرين من عطاء سواء إذا كان عطاء المسئولية

أو عطاءً حراً نابعاً من حسه الانسانى النبيل .

٤ ـ والزوج الناجح هو رجل ناجح . ناجح فى عمله . يعتز بعمله ويتقنه ويقبل عليه بحب ويحاول أن يبدع فيه . ويطورنفسه . يؤكد ذاته . يحقق طموحاته . لا شىء يأخذه بعيداً عن عمله . لا شىء يستغرقه ولا شىء يُغرقه .

أحد جوانب إحساسه بذاته هو نجاحه فى عمله وكذلك أحد جوانب فخره وثقته بنفسه واعتزازه بذاته . وهذا يعنى جديته وشعوره العميق بالمسئولية .

وثمة علاقة قوية تربط بين عمل الرجل وحبه وحياته الزوجية . إن نجاحه فى عمله يثرى حياته الزوجية ، وتوفيقه فى حياته الزوجية يثرى عمله . إنها علاقة تبادلية مباشرة تحفظ للرجل توازنه النفسى ، وتحفظ للزوجة توازنها النفسى وتحفظ للحياة الزوجية استقرارها وتكون أحد دعائم نجاحها .

●● وأن يكون أيضا ناجحا اجتماعيا . أن يكون قادرا على التأثير الاجتماعى . أن يكون له نفوذ إنسانى . وهذا يعنى ثراء شخصيته . يعنى اهتماماته بالحياة وبالانسان وبالمجتمع . اهتماماته التى تمتد خارج نطاق عمله وأسرته . وبذلك يكون هو الوسيلة للعلاقة التبادلية بين الأسرة والمجتمع . كل منهما يثرى الآخر .

٥ ـ أن يكون بناؤه الأخلاقى الانسانى سليما يعكسه ضمير نظيف ، وينبع من نفس طيبة خيرة هى المصدر للقيم الأخلاقية الانسانية العظيمة . فهو شريف . أمين . عطوف . متسامح . نبيل . متواضع . وينعكس هذا على حياته العامة وحياته الخاصة . فالانسان لا يتجزأ . والأخلاق لا تتجزأ . فمن كان غير أمين فى حياته العامة ، فهو غير أمين بشكل أو بآخر فى حياته الخاصة .

وهو بهذه النفس الطيبة الخيرة يبعث أقصى درجات الطمأنينة فى نفس زوجته .

٦ - أن يتمتع بالثبات الانفعالى . فلا يندفع غاضبا ثائرا لأبسط الأمور ويفقد السيطرة على أعصابه وسلوكه وينهار ويصدر عنه كلام غير منطقى وألفاظ سيئة . أن يكون صبورا حكيما منطقيا مقدرا عاذرا . وأن يتجاوب انفعاليا حسب مقتضيات الموقف ، أن يكون انفعاله مناسبا للموقف ، وأن يكون انفعالا بناءً لمعالجة الموقف . وأن يكون قادرا على السيطرة على هذه الانفعالات إذا اقتضى الموقف . وأن يكون راقيا أيضا فى غضبه فلا يلجأ إلى العنف البدنى أو اللفظى ، للسخرية والتهكم والتحقير والكلمات البذيئة .

إن الزوجة تفقد إدراكها الدقيق لحدوده كرجل إذا رأته فى هذه الصورة المتهاوية المنهارة ، وخاصة إذا كانت تقف هى قبالته . أى أن الموقف يتناولها هى شخصيا .

٧ - الرجولة الحقة هى التى تجعل المرأة تشعر بأنوثتها الحقة . والأنوثة الحقة لا تظهر فى ظل رجولة مهزوزة أو منقوصة . والمرأة لا تشعر بذاتها الحقيقية ، ذاتها الأنثوية إلا مع رجل حقيقى . أى قوته وشجاعته وقدرته على الاحتواء وغيرته الموضوعية النابعة من حبه ومن دوره فى المحافظة على زوجته لا من مشاعر الضعف والهوان وحب الامتلاك والتعلق المرضى والتى تنبرى فى صورة « غيرة » زائدة هى أقرب إلى الشك ولا تعنى إلا انهيارا رجوليا داخليا وعدم ثقة بالنفس .

٨ - أن يحافظ على التوازن بين الرومانسية والواقعية ، وبين الخيال والحقيقة . الرومانسية تحفظ له شاعريته ورقته التى تحتاجها المرأة وشغفه العاطفى الذى ترتوى منه المرأة . وفى نفس الوقت واقعيته تتيح له الادراك السليم للواقع والحكم الموضوعى

على الأمور والقيادة الواعية المستبصرة بمقتضيات الحياة .

المرأة تفقد حماسها واستثارتها إزاء عاشق ولهان تستغرقه الرومانسية ويذهب به الخيال بعيدا عن أرض الواقع والحقيقة . وفى نفس الوقت يفزعها الرجل الجاف الجامد الذى لا يهتز قلبه للحن جميل ولا تنتشى روحه لزهرة بديعة ولا يثير خياله ليل أو فجر ولا تتعلق روحه بمعنى شعرى جميل .

المرأة تطمئن للرجل المتوازن ، وتُفتن بالرجل المتكامل ، وتتعلق بالرجل الحى المتحرك النشط القوى الشجاع الحالم الرقيق . مزيج من الرجولة الحقة .

٩ ـ أن يكون حازما .. قائدا .. راعيا .. عادلا .. المرأة السوية تسلم القيادة لزوجها . والقائد الناجح لابد أن يكون حازما . حازما بلا قسوة وبلا عنف . الضعيف المتهاون هو الذى تنتابه حالات العنف والثورة وهو الذى يقسو قسوة زائدة .

وحزم الرجل مصدره عقله ومن خلال أساليب عقلية . وهو المنطق والثبات . الحجة والاقناع . الحزم لا يعنى أن يكون مرهوبا بل يكون عطوفا . فى العطف حزم . وفى المنطق حزم . وفى عدم التنازل والتهاون فى الأمور المهمة حزم . وفى التجاوز عن الصغائر حزم . وفى التسامح عن أخطاء غير مقصودة حزم .

●● وحقه فى الحزم يأتى من دوره كراع . راع لامرأته وراع لأسرته .

●● والراعى لكى يستمر دوره لابد أن يكون عادلا . والعدل قيمة تعنى السمو والحكمة . العادل هو إنسان سام وحكيم .

●● لأن دور الرجل أن يكون قائدا فلابد أن يكون حازما . وليس من حقه أن يكون حازما إلا إذا كان راعيا . ولا حق فى رعاية إلا بالعدل .

●● هذه صفات أربع متلازمة للرجل الزوج الذى يحظى بحب احترام زوجته واطمئنانها للحياة معه : القيادة والحزم والرعاية والعدل .

١٠ - أن يكون تقيا مؤمنا . لا خير فى رجل لا يعرف ربه . ولا اطمئنان مع زوج لا يراعى حدود خالقه .

● ● ●

زوج فاشل :

١ - هو رجل لا يقدس الزواج .

٢ - هو رجل فاشل بوجه عام فى أمور كثيرة من حياته . عمله . علاقاته الاجتماعية .

٣ - هو رجل انهزامى انسحابى ينزلق بسرعة فى مهاوى اليأس . يفتقد روح المرح . ضعيف الهمة قليل الحركة .

٤ - سريع الانفعال والغضب ، فاقد السيطرة ،ينهار إزاء المواقف الصعبة .

٥ - كاذب . وكذبه لضعفه وعدم ثقته بنفسه .

٦ - مفتقد لروح القيادة . متهاون غير حازم . ويقبل سيطرة الغير عليه .

٧ - مفتقد لمشاعر الخير والحس الانسانى : متعال . مغرور . نرجسى . عدوانى . قاس .

٨ - ينزلق أخلاقيا بسهولة . غير أمين .

٩ - لا يحرك مشاعر الأنوثة عند امرأته . تفتقد معه الاحساس بذاتها الحقة . وتفتقد معه مشاعر الأمان .

١٠ - يسيطر عليه الشك . غيرته مرضية نابعة من حبه للامتلاك وضعفه الداخلى .

زوجة ناجحة :

١ ـ قبل الزواج ، وقبل الحب هى أولا امرأة سوية ناضجة ينسجم تكوينها الفسيولوجى التشريحى مع تكوينها النفسى فى نسق أنثوى بديع تقبله وتعتز به ولا ترضى أن تستبدله أو تقترب به من النسق الذكرى .

●● ومن فطرتها الأنثوية الصافية الخالصة أنها لا تتزوج إلا من رجل تحبه يحرك ويطلق نوازعها الأنثوية إلى أقصى درجاتها وتتأكد هذه النوازع معه وبرجولته . هى امرأة ترفض أن تتزوج من رجل لا تحبه أو رجل منقوص الرجولة .

●● وهى امرأة مثلما تعتز بأنوثتها فهى تعى أيضا دورها الأنثوى فى الحياة ومع رجل وكأم .

٢ ـ هى زوجة قادرة على احتواء الزوج بالحنان والاهتمام . فهى بحسها الأنثوى تدرك احتياجات الرجل . فهى تعرف بفطرتها وبساطتها أن بالرجل جزءا كالطفل يحتاج إلى أم . وبه جزء ناضج واع منطقى يحتاج إلى امرأة ناضجة عاشقة وبه جزء أبوى يحتاج فيه أن يؤدى دور الراعى المسئول والقائد . ولهذا فهى تعطيه حنان الأم وحب المرأة العاشقة وخضوع الابنة المتفهمة .

●● هى تعرف أن الرجل يتوقع الاهتمام من الزوجة . يتوقع التقدير . ولذا فهى تعيش أحلامه وانتصاراته وأمجاده حتى وإن كانت هى الشاهدة الوحيدة عليها . تعيش حياته واهتماماته وعمله لحظة بلحظة . لا تفارقه لحظة .

٣ ـ الحب هو حياتها . وزوجها هو محور حياتها . وأسرتها هى مملكتها .

٤ ـ هى زوجة ثرية العقل غنية الروح . تعيش الحياة بفهم يدفعها إلى الانفتاح على الكون . فتفهم من أمور الحياة وأحوال الدنيا ما يجعلها مثقفة متفتحة فاهمة متعقلة عذبة الحديث مقنعة المنطق ، مؤثرة بأفكارها وروحها .

●● ولذا فمن حبها لزوجها وإحساسها بحب زوجها لها تدرك أن نفوذها وتأثيرها لا يكمن فى جمالها الخارجى وزينة جسدها الشكلية وإنما يكمن فى جمال عقلها ورونق روحها .

٥ ـ هى الزوجة التى تملك روحا سمحة ونفسا طيبة وطباعا هادئة . غير متسلطة . غير عدوانية . لا تستهويها ولا تزدهيها سلطة أو قيادة أو زعامة . ولأنها ارتبطت برجل تحبه وتثق به وتطمئن إليه فإنها تسلم له قيادة مركب الحياة . تساعده بعقلها وبجهدها . تقف بجانبه وليس وراء . ولا ترضى أن تقف أمامه .

٦ ـ أن تكون « غيرتها » نابعة من حبها بهدف الحفاظ على حبها وزوجها التى تثق به . فهو جدير بالثقة ولأنها تثق بنفسها أيضا وفوق كل ذلك وقبل كل ذلك ثقتها بالحب الذى يربطها بزوجها . غيرة عاقلة هادفة هادئة تسعد الرجل وفى نفس الوقت تحذره وتوقظه وتنبهه .

٧ ـ إخلاصها ووفاؤها ليسا محلا لنقاش أو تأكيد وإلا أصبحت الأمور كلها عبثية . من خلال سلوكها الاجتماعى المتوازن الراقى الذى يعكس حكمتها وتوازنها النفسى وثقتها بنفسها وعدم احتياجها لكلمات الاطراء وعبارات المديح وتلميحات الغزل . فهى ترفض ذلك بإباء نابع من حسها الأخلاقى القوى ومن احترامها لذاتها واحترامها لكيانها كزوجة ولأنها واعية وناضجة وذكية فإنها لا تستخدم سلاح الشك والغيرة لإذكاء مشاعر

زوجها نحوها لأنها تعرف أن هذا سلاح مدمر يقضى على الأحاسيس الطيبة لدى زوجها . يقضى على احساسه بالأمان .

٨ ـ أن تكون مبادئة . إيجابية . مشاركة . متعاونة . فعالة . وذلك فى إدارة شئون حياة الأسرة . وأن تعرف جيدا أنها مصدر الحياة . ومصدر الاستمرار . ومصدر الاستقرار . وأنها هى القائد من الداخل . من الباطن . وأن مصدر قوتها هو الحب والاحتواء والفهم والوعى والذكاء . الذكاء الأنثوى الفطرى الذى يدرك بالحس الداخلى وباللاشعور أنه لولا المرأة لما كانت الحياة . المرأة الزوجة . المرأة الفاضلة .

٩ ـ أن تستند حياتها كلها إلى قاعدة أخلاقية تتمثل فيها كل القيم الرفيعة من صدق وأمانة وتواضع وتسامح ينعكس فى سلوكها العام وحياتها الزوجية .

١٠ ـ أن تكون تقية مؤمنة . لا خير فى امرأة لا تعرف ربها . ولا اطمئنان مع زوجة لا ترعى حدود خالقها .

زوجة فاشلة :

١ ـ أن تكون عاجزة عن الحب .

٢ ـ أن تدخل فى منافسة مع الرجل .

٣ ـ أن تكون عدائية متسلطة .

٤ ـ أن تكون تافهة العقل .

٥ ـ أن تفتقد لمشاعر الانتماء للبيت ويصبح زوجها على هامش حياتها .

٦ ـ أن تتمتع بالاستهتار والسطحية والمبالغة والاهتمام بالمظهر الذى يكشف عن جوهر ضحل .

٧ - أن تكون قاعدتها الأخلاقية مثقوبة . فتهدر القيم وخاصة المتعلقة بالولاء والالتزام والاخلاص فى الحياة الزوجية .

٨ - أن تكون غير متوازنة نفسيا فتتذبذب انفعالاتها وتتأرجح ثقتها بنفسها فتندفع نحو حماقات ومهاترات لتاكيد الذات والدفاع عن النفس ضد اعتداءات وهمية ، وبذا تتسم حياتها بالعنف والعداوة والشك وسوء الظن .

٩ - أن تفتقد لمشاعر القدسية . قدسية الانسان . قدسية العلاقة الانسانية . الصداقة . الحب . الزواج . الأمومة . وهذا يجعلها تتناول الأمور الجادة تناولا سهلا رخيصا يفتقد للبراءة والطهارة .

١٠ - أن تتمتع بالغرور والأنانية والنرجسية . فلا تعطى ولا تذوب . وإنما تصبح طرفا شاذا وناشزا فى علاقة اساسها العطاء والذوبان وهى العلاقة الزوجية .



الختــــام

●● الطلاق ليس حلا . وليس هو الكلمة الأخيرة . والطلاق ليس سهلا . بل هو كابوس آثاره قد تستمر سنوات طويلة . والحياة بعد الطلاق فى الغالب تكون أسوأ . وحياة الوحدة قاسية . والزواج الثانى قد يكون أكثر فشلا أو قد تكتنفه صعوبات تسلب منه المتعة والطمأنينة .

●● وزواج انتهى إلى طلاق لم يكن زواجا أو أن طرفيه لا يصلحان للزواج .

●● وفشل الزواج مسئولية مشتركة يتحملها الطرفان إلا فى أحوال قليلة حيث يكون طرف معتد وباغ وآثيم وشاذ وغريب أو مريض ، وطرف آخر هو الضحية .

●● ولكن يجب على الأصحاء الأقوياء النبلاء ذوى المعدن الأصيل أن يحاولوا . فالله عز وجل منح الانسان قدرات هائلة على التكيف . فالأصل فى الزواج أن يكون خالدا . والطلاق ينبغى ألا يكون على الاطلاق . إلا فى أحوال قليلة جدا أكاد أقصرها على الكراهية والخيانة . حتى الكراهية من الممكن أن تكون مؤقتة ولأحوال نفسية عابرة . ومع المحاولة والوقت وبالصدر الرحب والنفس السمحة من الممكن أن تتبدل الكراهية وتحل محلها المودة . وايضا الخيانة من الممكن أن تكون لأسباب نفسية مرضية خارجة على الارادة ، والله غفور رحيم ، وباب التوبة مفتوح للجميع ولكل الخطايا .

●● وأكاد أجزم أن أكثر من ثلثى حالات الطلاق كان من الممكن ألا تحدث لو أن الطرفين استخارا الله وصبرا فتشبثا بما لهما من ذكريات مشتركة طيبة وأيام عاشاها معا فى فراش واحد ، ولو أنهما

أيضا تفكرا فى العواقب النفسية السيئة التى تعقب الطلاق . لو أنهما فقط تذكرا أن الطلاق مسئولية فى الموافقة عليه أو الاسراع به أو المبادأة به أو إتمامه .. فالمرأة بحكم تكوينها الانفعالى وسرعة تأثرها وبحكم أن احتياجاتها العاطفية هى الأساس فى حياتها والتى تمنحها كل أحاسيس الأمان ، فإنه غالبا ما تتسرع فى طلب الطلاق إذا تعرضت لأزمة عاطفية حادة .

وقد تلح فى طلب الطلاق حتى يخال من يسمعها أنها قد عقدت العزم وأن تصميمها نابع من اقتناع راسخ . ولكن الحقيقة غير ذلك . الحقيقة أنها انفعالات طارئة أو حتى مزمنة لكى تحث الرجل الزوج لا على الطلاق وإنما لكى يتغير . لكى يتنبه إلى احتياجاتها العاطفية . لكى تستعيد معه مشاعر الأمان .

●● والرجل الأحمق أو غير العارف بطبيعة المرأة قد يستجيب لانفعالاتها الحادة بالغضب والتعنت وتصعيد الصراع وبذلك تتعقد الأزمة وتستمر وبنفس الحماقة تنتهى حياتهما بالطلاق .

●● وعلى الرجل أن يتعرف على الأوقات الحرجة فى حياة المرأة التى تتصاعد فيها انفعاليتها إلى الحد الذى يهدد الحياة الزوجية وخاصة فى الأيام القليلة التى تسبق الدورة الشهرية حيث أكدت الاحصائيات العلمية ارتفاع نسبة الطلاق فى هذه الأيام . وكذلك حين تقترب المرأة من سن اليأس إذ لاحظ العلماء وكان ذلك أمرا محيرا أن نسبة عالية من الطلاق تحدث بعد سنوات طويلة من الزواج عشرين أو ثلاثين سنة بدون أسباب واضحة وتكون المرأة هى الباعث والمصر على الطلاق .

أكد العلماء أن هذا يحدث أثناء التغيرات النفسية والبيولوجية الحادة التى تعترى المرأة فى مرحلة سن اليأس .

●● هنا يأتى دور الرجل الزوج والحبيب الواعى الفاهم أن

الطلاق هو أبغض الحلال عند الله ، وأنه يهتز له العرش الالهى .

●● إن بغض الله لشىء كان يجب أن يهز الانسان من الداخل ويجعله يتريث ويتراجع ويفكر ويتدبر ويحاول .

●● أكاد أجزم أن أكثر من ثلثى حالات الطلاق كان من الممكن ألا تحدث لو أن أحد الطرفين كان شجاعا . واثقا بنفسه . نبيلا . مقدرا . عاذرا . صبورا . بعيد النظر .

●● أكاد أجزم أن أكثر من ثلثى حالات الطلاق كان من الممكن ألا تحدث لو أن هناك أناسا طيبين عقلاء متفهمين ذوى تأثير وقدرة على الاقناع تدخلوا بالخير وبالنيات الطيبة .

●● وإذا كانت المسئولية مشتركة إلا أنه يجب أن نرتفع ولو بقدر يسير بمسئولية الرجل . ليس مسئوليته فى فشل الزواج ولكن القائد والراعى والمسئول .

● ● ●

●● الزواج هو رغبة إثنين فى أن يكونا معا ..

●● وهو يلبى أعمق الاحتياجات النفسية للانسان ..

●● وهو الوحيد الذى يلبى كل هذه الاحتياجات ..

●● وأعمق الاحتياجات النفسية للمرأة هو الشعور بالأمان . ويجسده لها حنان الرجل النابع من حبه ..

●● وأعمق الاحتياجات النفسية للرجل هو الشعور بالاهتمام . ويجسده له حنان المرأة النابع من حبها ..

●● إنها أشياء بسيطة ولكنها هامة وعظيمة . وإذا استطاع كل طرف أن يلبى احتياجات الطرف الآخر نجح الزواج ..

●● لا ينجح زواج إلا بالحب ..

د . عادل صادق

١٩٩٣/٨/١١

الفهـــرس

صفحة

رقم الايداع
٩٣ / ٨٣٢٨
I.S.B.N
977 - 08 - 0201 - 8